مكتبة
الأسرة
1999

مهرجان القراءة للجميع

سلسلة التراث

المختار من

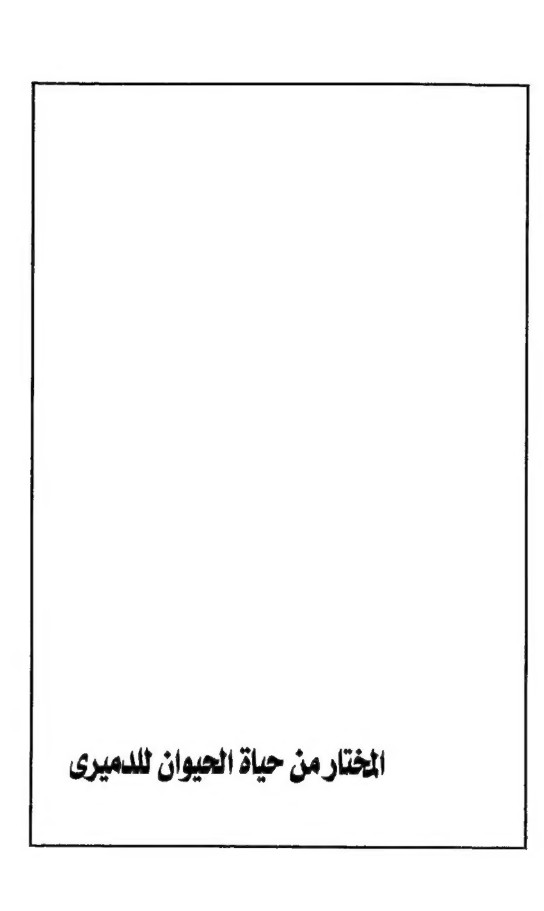
حياة الحيوان الكبرى

لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى





الهيئة المصرية
العامة للكتاب



المختار من حياة الحيوان للدميرى

المختار من

حياة الحيوان للدميرى

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان د . محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من حياة الحيوان للدميرى

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصدير

حياة الحيوان الكبرى هو عنوان كتاب ضخم كتبه مؤلف مصرى فذ اسمه كمال الدين أبو البقاء بن محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى ، وعادة ما يضاف إلى اسمه صفة «المصرى الشافعى» ، الذى ولد فى القاهرة عام ٧٤٢هـ (١٣٤١م) وتوفى بها فى سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) ودفن فى ضريح أقيم له بالحسينية ، بمسجده المعروف بالصوابى قريباً من جامع سيدى على البيومى . ولم يطبع الكتاب إلا بعد انقضاء نحو خمسمائة سنة على وضعه ، أى فى عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) إذ وضعه مؤلفه وهو فى الحادية والثلاثين من عمره ، وأعيد طبعه بعد نحو عشر سنوات ، وكانت الطبعة الأولى فى المطبعة الأميرية ولها مقدمة كتبها مراجعها الأستاذ محمد العدوى ، أما الطبعة الثانية فقد راجعها وصححها الأستاذ محمد الصباغ ، والكتاب يتميز بالضخامة إذ صدرت هذه الطبعة الثانية فى جزءين من القطع الكبير ، عدد صفحات الجزء

الأول ٤٦٠ صفحة والثانى ٤٨٥ صفحة ، إلى جانب مقدمة المراجع ، ويضم بين دفتيه ١٠٦٩ مادة تتصل بالتاريخ الطبيعى للحيوان ، وإن كان عدد الحيوان الممثلة فى هذه المواد أقل ، لأن الحيوان الذى يحمل أكثر من اسم يتكرر ذكره عند إيراد كل اسم من أسمائه وفقاً للترتيب الهجائى للكتاب . كما يضم الكتاب ٦٩ فصلاً عن تاريخ الخلفاء ولا علاقة لها بعلم الحيوان .

ويقول المؤلف إنه جمع مادة الكتاب من ٥٦٠ كتاباً و ١٩٩ ديواناً من الشعر ، ونحن نعجب لطاقة هذا الكاتب الذى كان يعمل فى مطلع حياته بحياكة الثياب ، كيف استطاع أن يلم ، وهو فى صدر الشباب ، بكل هذه المعلومات التى يرتبها هنا ترتيباً أبجديا يقتضى فترة طويلة حتى فى عصرنا الحديث ! فإذا ذكرنا أن عصره كان عصرُ (الكتب الكبيرة) أدركنا أنه كان يواجه تحدى العصر ، إذ جاء بعد ابن خلدون وابن بطوطة والشريف الجرجانى ، وجاء معه أو بعده الفيروزبادى صاحب «القاموس المحيط» (ت – ٨١٧ هـ) والقلقشندى صاحب «صبح الأعشى» (ت – ٨٢١هـ) وابن دقماق (ت – ٨٠٩ هـ) والمقريزى (ت – ٨٤٥ هـ)، وهم من يذكرهم السيوطى بين نوابع القرن التاسع الهجرى مع الدميرى .

وقد اهتم المستشرقون بالكتاب منذ صدور الطبعة الثانية فترجم فى

مطلع القرن العشرين إلى الانجليزية ، وانكب الباحثون يحللونه من الزوايا العلمية والأدبية المختلفة ، فرموه بالجرى وراء الخرافات والنقل دون تمحيص ، وهذه من التهم التى تتبادر إلى ذهن كل قارئ لهذا الكتاب الفريد ، خصوصاً بعد أن يقرأ كتاب الحيوان للجاحظ الذى كان أحياناً ما يجرى تجاربه الخاصة على الحيوان للتأكد مما يُروى له أو مما نقل عن الأقدمين ، ولكن الدميرى لم يكن يكتب كتاباً فى علم الحيوان لا بمعناه الحديث ولا بالمعنى العلمى الذى قصد الجاحظ إليه ، بل يقول فى تواضع العلماء إنه جمع (حقائق) الحيوان المعروفة فى عصره ، ورتبها على حروف المعجم قاصداً رصد تراث العرب المعرفى فى هذا الباب ، ومن ثم فهو يبدأ بوصف الحيوان الذى يتحدث عنه ، مستشهداً بالجاحظ أو بأرسطو وغيرهما ممن سبقوه ، ثم يورد أحكام الحلال والحرام والمنع والإباحة والجائز والمكروه ، فهو ابن مخلص للأزهر فى عصره الذهبى ، ثم يورد بعض (خصائص) الحيوان ، ويذكر الأمثال المرتبطة بكل نوع ، وتعبير رؤيا الحيوان ، مع الإسهاب فى ذكر ما جاء من شعر يؤكد ما انتهى إليه ، أو روايات تثبت وجهة نظره .

وهو كثيراً ما يتوقف ليطعن فى صحة خبر سمعه ، أو رواية انتهت إليه فى كتاب من الكتب ، وقد يقطع فى هذا أو تلك برأى وقد لايقطع ، فهو مثل الأقدمين يقصد التسجيل أولاً ، بحيث يخرج القارئ بصورة صادقة عن علوم العصر والفكر الذى ساد كتابات الكتاب آنذاك ،

وعن الجهد الذى بذله فى تصحيح بعض المعلومات التى كان النقاش يدور حولها فى حلقات الدرس ، وعن المساهمة التى يمثلها هذا الكتاب فى الحركة العلمية العالمية فى زمن لم تكن قد تعدت فيه طور الطفولة .

وقد صدرت مختصرات كثيرة لهذا الكتاب الضخم ، ولكن حذف كل ما لا يتصل بعلم الحيوان منه يسلبه مذاقه الفريد ، ولذلك فلقد حرصت مكتبة الأسرة هذا العام على تقديم نموذج محدود منه ، لم تحذف منه إلا أقل القليل ، وهو يقتصر على حرفى الجيم والحاء ، ولاشك أن القارىء سوف يجد فى هذا النموذج ما يدفعه إلى طلب المزيد من هذا الكتاب الضخم الممتع .

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

باب الجيم

الجأب :

الأسد ، والحمار الوحشى الغليظ ، والجمع جؤوب .

❁

الجارف :

ولد الحية .

❁

الجارحة :

ما تعلم الاصطياد من كلب أو فهد أو باز أو نحو ذلك . والجمع الجوارح . قال الله تعالى : ﴿ **وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله** ﴾ .

سمى جارحة لأنه يكسب لصاحبه . والجوارح : الكواسب . قال تعالى : ﴿**ويعلم ما جرحتم بالنهار**﴾ : أى ما كسبتم .

❁

الجاموس :

واحد الجواميس ، فـارسى معرب ، وهو حيوان عنده شـجاعة وشدة بأس . وهو مع ذلك أجزع خلـق الله ، يفرق من عض بعوضـة ويهرب منها إلى الماء . والأسد يخافه .

وهو مع شدته وغلظه ذكى، ينادى راعيه الأناث: يا فلانة يا فلانة ، فتأتى إليه المناداة . ومن طبعـه كثرة الحنين إلي وطنه . ويقال إنه لا ينام أصلا لكثرة حراسته لنفسه وأولاده .

وإذا اجتمع ضرب دائرة ، وتجعل رؤوسها خارج الدائرة وأذنابها إلى داخلهـا ، والرعاة وأولادها من داخل . . . فـتكون الدائرة كـأنها مـدينة مسورة من صياصيها .

والذكر منها يناطح ذكرا آخر ، فإذا غلب أحـدهما دخل أجمة فيقيم فيهـا ، حتى يعلم من نفسـه أنه قوى فيخـرج ويطلب ذلك الفحل الذى غلبه ، فيناطحه حتى يغلبه ويطرده .

وهو ينغمس فى الماء غالبا إلى خرطومه .



وحكمه وخواصه كالبقـر . لكن إذا بخر البيت بجلد الجاموس طرد منه البق . وأكل لحـمه يورث القـمل . وشـحمـه إذا خلط بملح أندرانى وطلى به الكلف والجرب والبرص أزالها وأبرأها .

وقال ابن زهر ، نقلا عن أرسطاطاليس : فى دماغ الجاموس دود ، من أخذ منه شيئا وعلقه عليه أو على غيره لم ينم مادام عليه .

•

«التعبير» : الجاموس فى المنام رجل شجاع جلد لا يخاف أحدا ، يحتمل أذى الناس فوق طاقته . فأن رأت أمرأة أن لها قرن جاموس فإنها تتزوج ملكا ، وإلا كان ذلك قوة ومنعة لقيِّمها . والله أعلم .

•

الجان :

حية بيضاء ، وقيل الحية الصغيرة . قال الله تعالى : ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا﴾ .

وقال تعالى فى آية أخري : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ .

وقال تعالى : ﴿فألقى عصاه فإذا هى ثعبان مبين﴾ .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس ، وصارت تتورم حتى صارت ثعبانا ، وهو أعظم ما يكون من الحيات ، قال تعالى : ﴿فإذا هى ثعبان مبين﴾ .

فلما ألقى موسى العصا صارت جانا فى الابتداء ، ثم صارت ثعبانا فى الانتهاء .

ويقال : وصف الله العصا بثلاثة أوصاف : بالحية ، والجان ، والثعبان . لأنها كانت كالحية لعدوها ، وكالثعبان لابتلاعها ، وكالجان لتحركها .

قال فرقد السنجي : كان بين لحييها أربعون ذراعا .

قال ابن عباس ، والسدى : إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة فاها ، بين لحييها ثمانون ذراعا . وارتفعت من الأرض بقدر ميل . وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه .

وروى أنها أخذت قبة فرعون بين نابيها ، فوثب فرعون من سريره هاربا . قيل وأخذته أخذة البطن فى ذلك اليوم أربعمائة مرة . وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا ، ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ، قتل بعضهم بعضا .

ويقال : كانت العصا حية لموسى ، وثعباناً لفرعون ، وجانا للسحرة . وأما قوله : ﴿ ولى فيها مآرب أخرى ﴾ ، فكان يحمل عليها زاده وسقاءه ، وكانت تماشيه وتحادثه ، وكان يضربُ بها الأرض فيخرج منها ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء ، فإذا رفعها ذهب الماء .

وكان يرد بها غنمه . وكانت تقيه الهوام ، باذن الله تعالى ، وإذا

ظهر له عدو حاربته وناضلت عنه ، وإذا أراد الاستقاء من البئر صارت شعبتاها كالدلو يستقى به .

وكان يظهر على شعبتيها نور كالشمعتين تضىء له ويهتدى بها . وإذا اشتهى ثمرة من الثمار ركزها فى الأرض فتغصن أغصان تلك الشجرة وتورق ورقها وتثمر ثمرها .

قال ابن عباس : والله أعلم .

وقد تقدم أن العصا كانت من آس الجنة أهبطت مع آدم إلى الأرض.

❁

الجبهة :

الخيل . وهو المراد بقوله ﷺ فى حديث الزكاة : « ليس فى الجبهة ولا فى النخة ولا فى الكسعة صدقة » .

وقيل للخيل ذلك لأنها خيار البهائم . . . كما يقال وجه السلعة لخيارها ، ووجه القوم وجبهتهم لسيدهم .

والنخة : البقر العوامل ، مأخوذ من النخ ، وهو السوق الشديد . والكسعة : الحمير ، مأخوذ من الكسع ، وهو ضرب الأدبار . . . . قاله الزمخشرى وغيره ، والله تعالى أعلم .

❁

الجثلة :

النملة السوداء .

❁

الجحل :

الجحل ، بتقديم الجيم على الحاء ، الحبارى .

وقيل هو الحرباء ، وقيل هو الجعل ، وقيل هو الضب الكبير المسن ، وقيل هو اليعسوب العظيم كالجراد إذا سقط لايضم جناحيه . والجمع جحول وجحلان .

❁

الجحمرش :

الأرنب المرضع ، والعجوز الكبيرة ، والمرأة الثقيلة السجة . والجمع جحامر ، والتصغير جحيمر .

❁

الجحش :

ولد الحمار الوحشي والأهلى . قيل وإنما سمى بذلك قبل أن يعظم . والجمع جحاش وجحشان ، والأنثي جحشه .

وربما سمى المهر جحشا تشبيها بولد الحمار .

والجحش ولد الظبية فى لغة هذيل .

ويقال للرجل إذا كان مستبدا برأيه جحيش وحده ، كما قالوا عبير وحده . . . يشبهونه فى ذلك بالجحش والعير .

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان عمر أجودنا نسيج وحده ، وقد أعد للأمور أقرانها .

وروى الدارقطنى : أن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها كان اسم أبيها برّة وقيل كان اسمه برة بالضم . وقال النبى ﷺ : « لو كان أبوك مؤمنا لسميته باسم رجل منا أهل البيت . ولكن قد سميته جحشا ، والجحش أكبر من البرة[1] .

❁

الجخدب :

الجخدب ، بضم الجيم وبالخاء المعجمة وفتح الدال المهملة وجمعه جخادب ، ضرب من الجنادب ، وهو الأخضر الطويل الرجلين وقيل : هو دويبة نحو من العظاء ، ويقال له أبو جخادب .

❁

(١) البرة ، ولد الثعلب والفأرة والجرذ .

الجدجد :

الجدجد ، بالضم ، صرار الليل . . . قـاله الجوهرى . وهو قفاز ، وفيه شبه بالجراد ، والجمع الجداجد .

وقال الميدانى : الجدجد ضرب من الخنافس يصوت فى الصحارى من أول الليل إلى الصبح . فإذا طلبـه طالب لم يره ، ولذلك قالوا : أكمن من جدجد .

وفى حديث عطاء ، فى الجدجـد يموت فى الوَضوء ، قال : لا بأس به . والوضـوء بفتح الـواو اسم للماء الذى يتـوضـأ به ، وبالضم اسم للفعل .

●

الجداية :

الجداية ، بكسر الجـيم وفتحها ، الذكـر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . وخص بعضهم به الذكر منها .

قال الأصمعى : الجداية بمنزلة العناق[1] من الغنم .

وفى سنن أبى داود والترمذى ، عن كلدة ابن حنبل الغسانى، وليس

---

(١) العناق «على وزن سحـاب» ، الأنثى من أولاد المعز أو الغنم . الجمـع أعنق (بضم النون) ، وعنوق (بضم العين) .

له فى الكتب الستة سواه ، قال :بعثنى صفوان بن أمية إلي رسول الله ﷺ بلبن وجداية وضغابيس ، والنبى ﷺ بأعلى مكة ، فدخلت ولم أسلم . فقال : « أرجع وقل السلام عليكم » . . . وذلك بعد ما أسلم صفوان .

والضغابيس : صغار القثاء ، والجداية : الصغير من الظباء ذكرا كان أو أنثى .

•

الجدى :

الذكر من أولاد المعز . وثلاثة أجد ، فإذا كثرت فهى الجداء .

روى أبو داود ، عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن النبى ﷺ كان يصلى ، فذهب جدى يمر بين يديه فجعل يتقيه .

وروى الطبرانى والبزار باسناد حسن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أن النبى ﷺ قال : « كان جدى فى غنم كثيرة ترضعه أمه فترويه . فانفلت يوما فرضع الغنم كلها ثم لم يشبع . فقيل : أن مثل هذا مثل قوم يأتون من بعدكم ، فيعطى الرجل منهم ما يكفى القبيلة أو الأمة ثم لم يشبع » .

وفى « صفوة الصفوة » وغيرها ، عن مجاهد ، قال : كان

عمرو ﷺ يقول : لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يطالب الله به عسر .

والطف : اسم موضع بناحية الكوفة ، وأضيف إلى الفرات لقربه منه .

●

«الأمثال» : قالوا : تغذ بالجدى قبل أن يتعشى بك . . . يضرب للأخذ بالحزم .

●

«الخواص» : لحم الجدى أقل حرارة ورطوبة من الخروف ، وأسرع المعز هضما . وأجوده الجدى الأحمر والأزرق ، ولحمه سريع الانهضام لكنه يضر بأصحاب القولنج ، والعسل يذهب مضرته . وهو جيد الغذاء ، ويكره السمين من ذكورها واناثها لعسر انهضامها ورداءة غذائها .

ولحوم المعز بالجملة نافعة لمن به الدمامل والبثور . ولحومها فى الشتاء رديئة ، وفى الصيف جيدة ، وفى باقى الفصول متوسطة .

●

«التعبير» : الجدى فى المنام ولد ، فمن رأى جديا مذبوحا فهو موت ولد . وأكل الجدى المشوى يدل على موت ولد ذكر . فان أكل منه ذراعه نجا من الهلكة ، وأن أكل منه الجنب اليسار فانه يدل علي هم وحزن .

والنصف مما يلى الرأس إلى السرة يعبر بالمرأة والبنات . والنصف مايلى السرة إلى الرجلين يعبر بالبنين .

والذراع المشوى فى المنام إذا كان ناضجا فهو رزق من امرأة يمكر بها ، وإذا كان غير ناضج فهو غيبة ونميمة .

ويأتى القول فيه فى باب الحروف فإنه مثله .

٥

الأجدل :

الأجدل : الصقر ، صفة غالبة عليه ، وأصله من الجدل الذى هو الشدة ، وهى الأجادل ، كسروه تكسير الأسماء لغلبة الصفة ولذلك جعله سيبويه مما يكون صفة فى بعض الكلام ، وأسما فى بعض اللغات .

وقد يقال للأجدل أجدلى ، ونظيره أعجم وأعجمى . وهو ممنوع من الصرف ، كأخيل ، عند قليل ، والأكثر أنهما مصروفان .

«الأمثال» : قالوا : بيض القطا حضنه الأجدل . . . يضرب للشريف يؤوى إليه الوضيع .

الجذع :

الجذع ، بفتح الجيم والذال المعجمة ، وهو من الضأن ما له سنة تامة .

هذا هو الأصح عند أصحابنا ، وهو الأشهر عند أهل اللغة وغيرهم .

وقيل ما له ستة أشهر ، وقيل ما له سبعة ، وقيل ثمانية ، وقيل عشرة . . . حكاه القاضى عياض ، وهو غريب .

قيل : ان كان متولدا بين شابين فستة أشهر ، وأن كان بين هرمين فثمانية أشهر .

قال بعض أهل البادية : الأجذاع هو أن تكون الصوفة على الظهر قائمة ، واذا أجذع نامت .

والجذع من الماعز ما له ستتان على الأصح ، وقيل سنة .

قال الجوهرى : الجذع قبل الثنى ، والجمع جذعان وجذاع . والأنثى جذعة ، والجمع جذعات . تقول لولد الشاة فى السنة الثانية ، ولولد المعز والحافر فى السنة الثالثة ، وللأبل فى السنة الخامسة . . . أجذع . والجذع اسم له فى زمن وليس السن تنبت ولا تسقط .

روى زر بن حبيش ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط . فجاء النبى ﷺ وأبو بكر ، وقد نفرا من المشركين ، فقالا : يا غلام ، هل عندك من لبن تسقينا ؟ فقلت : انى مؤتمن ، ولست بساقيكما .

فقال النبى ﷺ : « هل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل ؟ » قلت : نعم . قال : « فائتنى بها » .

قال : فأتيتهما بها ، فاعتقلها النبى ﷺ ، ومسح الضرع ودعا ، فجعل الضرع يحفل . ثم آتاه أبو بكر بصخرة منقعرة فاحتلب فيها ، وشرب رسول ﷺ ، وشرب أبو بكر ، ثم شربت .

ثم قال ﷺ للضرع : «اقلص» . فقلص : أى اجتمع .

قال : فأتيته بعد ذلك ، فقلت : علمنى من هذا القول ؟ قال : «انك عليم معلم» ، قال : فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد .

وفى حديث المبعث : أن ورقة بن نوفل قال : ياليتنى فيها جذعا . الضمير فى فيها للنبوة : أى ليتنى كنت شابا عند ظهورها حتى أبالغ فى نصرتها وحمايتها .

وجذعا منصوب على الحال من الضمير فى فيها . تقديره ليتنى مستقر فيها جذعا : أى شابا .

وقيل : هو منصوب باضمار كان . وضعف ذلك ، لأن كان الناقصة لا تضمر إلا إذا كان فى الكلام لفظ ظاهر يقتضيها ، كقولهم : «أن خيرا فخير ، وان شرا فشر» . . . أى أن كان خيرا فخير .

وروى الحافظ الدمياطى ، عن على بن صالح ، قال : كان ولد عبد المطلب عشرة ، كل منهم يأكل جذعة .

وروى أبو عمر بن عبد البر فى «التمهيد» من طريق صحيح : أن

أعرابيا ســأل النبى ﷺ عن شجرة طوبى . فقــال له : «هل أتيت الشام؟ فإن فيها شجرة يقال لها الجوزة » . . . ثم وصفها .

ثم أن الأعرابى سأل عن عظم أصلها . فقال له : «لو ركبت جذعة من أبل أهلك ، ثم طفت بها (أو قال : «درت بها») حتى تندق ترقوتها هرما ما قطعتها » .

وذكر السهـيلى فى «التعريف والإعلام» : أن أصلهـا فى قصر النبى ﷺ فى الجنة ، ثم تنقسم فروعها عـلى منازل أهل الجنة . . . كما انتشر منه العلم والإيمان على جميع أهل الدنيا . وهذه الشـجرة من شجر الجور

❁

الجراد:

معـروف ، الواحدة جـرادة . الذكر والأنثى فـيه سواء . يـقال هذا جرادة ذكر وهذه جرادة أنثى ، كنملة وحمامة .

قال أهل اللـغة : وهو مشـتق من الجرد . قـالوا : والاشـتقاق فى أسمــاء الأجناس قليل جدا . يقال : ثوب جـرد أى أملس ، وثوب جرد إذا ذهب زئبره[1] .

---

(١) الزئبر (بكسر الزاى والباء) ما يظهر من درز الثوب .

وهو برى وبحرى . والكلام الآن فى البرى .

قال الله تعالى : ﴿ يخرجون من الأجـداث كأنهم جراد منتشر ﴾ : أى فى كل مكان . وقيل : وجه التشبيه أنهم حيارى فزعون لا يهتدون، ولا جهة لأحد منهم يقصدها والجراد لا جهة له ، فيكون أبدا بعضه على بعض .

وقد شبههم فى آية أخرى بالفراش المبثوث. وفيهم من كل هذا شبه .

وقـيل : أنهم أولا كالـفراش حين يموج بعـضـهم فى بعض ، ثم كالجراد إذا توجهوا نحو المحشر والداعى .

والجرادة تكنى بأم عوف : قال أبو عطاء السندى :

وما صفراء تكنى أم عوف كأن رجيلتيها منجـــلان

والجراد أصناف مخـتلفة ، فبعـضه كبير الجـثة وبعضه صـغيرها ، وبعضه أحمر وبعضه أصفر وبعضه أبيض .

وكان مسلمة بن عبد الملك بن مروان يلقب بالجرادة الصفراء . وكان موصوفا بالشجاعة والأقدام والرأى والدهاء .

ولى أرمينية وأذربيـجان غير مرة ، وامرة العـراقين . وسار فى مائة وعشرين ألف وغـزا القسطنطينية فى خـلافة سـليمان أخيه . وروى عن عمر بن عبد العـزيز ، وهو مذكور فى سنن أبو داود ، وكانت وفاته سنة احدى وعشرين ومائة

والجراد إذا خرج من بيضه يقال له الدبى . فإذا طلعت أجنحته وكبرت فهو الغوغاء ، الواحدة غوغاة . وذلك حين يموج بعضه فى بعض . فإذا بدت فيه الألوان واصفرت الذكور واسودت الأناث ، سمى جرادا حينئذ .

وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلدة والصخور الصلبة التى لا تعمل فيها المعاول ، فيضربها بذنبه فتفرج له فيلقى بيضه فى ذلك الصدع . فيكون له كالأفحوص . ويكون حاضنا له ومربيا .

وللجرادة ست أرجل : يدان فى صدرها ، وقائمتان فى وسطها ، ورجلان فى مؤخرها . وطرفا رجليها منشاران .

وهو من الحيوان الذى ينقاد لرئيسه . فيجتمع كالعسكر ، إذا ظعن أوله تتابع جميعه ظاعنا ، وإذا نزل أوله نزل جميعه .

ولعابه سم نقاع للنبات ، لا يقع على شىء إلا أهلكه .

وروى البيهقى ، عن أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « أن مريم بنت عمران عليها السلام سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له ، فأطعمها الجراد . فقالت : اللهم أعشه بغير رضاع ، وتابع بينه بغير شياع » .

قلت : يا أبا الفضل ، ما الشياع ؟ قال : الصوت .

وتقدم أن يحيى بن زكريا كان يأكل الجراد وقلوب الشجر . يعنى الذى ينبت في وسطها غضا طريا قبل أن يقوى ويصلب . واحدها قلب بالضم للفرق ، وكذلك قلب النخلة .

وقالت الأئمة الأربعة : يحل أكله سواء مات حتف أنفه ، أو بذكاة، أو باصطياد مجوسى أو مسلم ، قطع شيء منه أم لا .

وعن أحمد رحمه الله : أنه إذا قتله البرد لم يؤكل . وملخص مذهب مالك : أنه ان قطع رأسه حل ، والا فلا .

والدليل على عموم حله قوله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ، ودمان : الكبد والطحال ، والسمك والجراد » . . . رواه الإمام الشافعى ، والإمام أحمد ، والدارقطنى ، والبيهقى ، من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن ابن عمر رضي الله عنه ، مرفوعا .

«الأمثال» : قالت العرب : تمرة خير من جرادة . وأطيب من جرادة . وجاء القوم كالجراد المنتشر (أى متفرقين) ، وأجرد من الجراد . وأغوى من غوغاء الجراد .

وقالوا : كالجراد لا يبقى ولا يذر . . . يضرب فى اشتداد الأمر ، واستئصال القوم .

وقالوا : أحمى من مجير الجراد . وهو مدلج بن سويد الطائى .

وكان من حديثه ، فيما ذكر ابن الأعرابى عن الكلبى ، أنه خلا ذات

يوم فى خيمته فإذا هو يقوم من طيىء ومعهم أوعيتهم . فقال : ما خطبكم ؟ قالوا : جراد وقع بفنائك فجئنا لنأخذه .

فركب فرسه وأخذ رمحه ، وقال : والله لا يتعرض له أحد منكم إلا قتلته . . . أيكون فى جوارى ثم تريدون أخذه ؟ ولم يزل يحرسه حتى حميت عليه الشمس فطار ، فقال : شأنكم الآن به ، فقد تحول عن جوارى !

•

الجراد البحرى :

قال الشريف : هو حيوان له رأس مربع . وله مما يلى رأسه صدف خزفى ، ونصفه الثانى لا خزف عليه . وله فى كلا الجانبين عشر أيد طوال شبيهة بأيدى العناكب ، إلا أنها كبار جدا ، منها ما هو قدر الرغيف ، ومنها ما هو دون ذلك .

وهو كثير بساحل البحر ببلاد الغرب . ويأكلونه كثيرا مشويا ومطبوخا . وله قرنان دقيقان أحمران . وعيناه بارزتان متدليتان من رأسه .

وهذا الجراد حار يابس . وأجود ما يؤكل منه مشويا فى الفرن . وهو داخل فى عموم أنواع الصدف .

وخاصية لحمه النفع من الجذام .

⚬

الجرارة:

نوع من العقــارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وســيأتى أن شاء الله تعالى فى باب العين .

وهى عقارب صغار صفــر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم . وأكثر ما توجـد فى كهارات السكر ، وفى الطين الذى هو قوالب السكر . . . قاله فى « كامل الصناعة » .

وقــال موسى بن عــبــد الله الإسرائيلى القــرطبى : الجــرارة نوع من العقارب صغير الجسم ، لا يقوم ذنبه علــي جسمه كما تفعل العقارب بل يجره على الأرض . وكذلك توجد ببلاد المشرق .

قال الجــاحظ : وهى تكون بعسكر مكرم وجنديســابور . إذا لسعت أحدا قتلته ، وربما تناثر لحمــه ، وربما يعفن وينتن حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو مخمر الوجه مخافة أعدائه .

وهــذا النــوع يألــف الحشــوش والمواضع النادية ، وســمهــا حــار محرق .

وقال ابن جمــيع فى كتابه «الارشاد» : والجــرارة نوع من العقارب .

وسمها حار يابس يعرض للبدن منه التهاب وكرب ، وليس يجد لموضع لسعها ألما .

قال : ومن الأشربة النافعة لها ماء الشعير ، وماء الجبن ، وسويق التفاح بالماء البارد .

وقال القزوينى والجاحظ : وهذا النوع يقتل غالبا .

٥

الجرذ:

الجرذ ، بضم الجيم وفتح الراء المهملة وبالذال المعجمة ، ذكر الفيران. وقيل هو ضرب من الفأر أعظم من اليربوع ، أكدر فى ذنبه سواد . . . حكاه ابن سيده .

قال الجاحظ : والفرق بين الجرد والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر ، والبخاتى والعراب .

قال : وجرذان أنطاكية لا تقوى عليها السنانير لعظمها ، الا للواحد بعد الواحد .

قال : وهى ببلاد خراسان قوية جدا . وربما عضت النائم فقطعت أذنه . وأنا رأيت جرذا قاتل سنورا ، ففقأ عين السنور وهرب منه !

وقال الزمخشرى فى «ربيع الأبرار» : الجرذ إذا خصى أكل جميع الفأر . والجرذ لا يقوم له شيء منها .

قال : وزعموا أن الخصى من كل جنس أضعف من الفحل ، إلا الجرذان فان الخصاء يحدث فيه شجاعة وجراءة .

والجمع جُرذان كصُرد وصردان . وأرض جرذة : أى ذات جرذان . وكنيته أبو جوال ، وأبو راشد ، وأبو العدرج .

❁

الجرجس :

لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار .

❁

الجوارس :

النحل . وجرست النحل العرفط تجرس جرسا ، إذا أكلته . والجرس ، فى الأصل ، الصوت الخفى . والعرفط ، بالضم ، شجرة الطلح . وله صمغ كريه الرائحة ، فإذا أكلته النحلة حصل فى عسلها شيء من ريحه .

الجرو :

الجرو – بكسر الجيم وفتحها وضمها ، ثلاث لغات مشهورات – الصغير من أولاد الكلب ، وسائر السباع .

وفى المثل لا تقتن من كلب سوء جروا .

قال الشاعر :

ولو ولدت فقيرة جرو كلب   لسب بذلك الجرو الكلاب

وقال ابن سيده : الجرو الصغير من كل شيء ، حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء والرمان .

٭

الجريث :

الجريث ، بكسر الجيم وبالراء المهملة والثاء المثلثة ، وهو هذا السمك الذى يشبه الثعبان ، وجمعه جراثى . ويقال له أيضا : الجرى ، بالكسر والتشديد ، وهو نوع من السمك يشبه الحية . ويسمى بالفارسية مارماهى .

وقد تقدم أنه الأنكليس .

قال الجاحظ : أنه يأكل الجرذان ، وهو حية الماء .

« وحكمه » : الحل . قال البغوى عند قوله تعالى : ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه﴾ : ان الجريث حلال بالاتفاق .

وهو قول أبى بكر ، وعمر ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت ، وأبى هريرة، رضى الله عنهم . وبه قال شريح ، والحسن ، وعطاء . وهو مذهب مالك ، وظاهر مذهب الشافعى .

والمراد هذه الثعابين التى لاتعيش إلا فى الماء . وأما الحيات التى تعيش فى البر والبحر ، فتلك من ذوات السموم ، وأكلها حرام .

وسئل ابن عباس عن الجرى ، فقال : هو شىء حرمته اليهود ، ونحن لا نحرمه .

❁

الجزور:

من الأبل ، يقع على الذكر والأنثى ، وهو مؤنث ، والجمع جزر ... كذا قال الجوهرى . وقال ابن سيده : الجزور : الناقة التى تجزر والجمع جزائر وجزر . وجزرات جمع الجمع كطرق وطرقات .

قالت خرنق بنت هفان :

لا يبعدن قومى الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك ... والطيبون معاقد الأزر

وبها سميت المجزرة ، وهى الموضع الذى يذبح فيه .

وفي كتاب «العين» : الجزور من الضأن والمعز خاصة ، مأخوذة من الجزر ، وهو القطع .

وفى صحيح مسلم ، من حديث عبد الرحمن ابن شماسة ، أن عمرو بن العاص قال عند موته : إذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربى .

قلت : أنما ضرب المثل بنحر الجزور وتقسيم لحمها لأنه كان فى أول أمره جزارا بمكة ، فألف نحر الجزائر وضرب به المثل .

وكونه كان جزارا جزم به ابن قتيبة فى «المعارف» ، ونقله ابن دريد فى كتاب «الوشاح» ، وكذلك ابن الجوزى فى «التلقيح» ، وأضاف إليه الزبير بن العوام ، وعامر بن كريز ، فقال : هؤلاء كانوا جزارين .

٭

وذكر التوحيدى فى كتاب «بصائر القدماء وسرائر الحكماء» صناعة كل من علمت صناعته من قريش ، فقال : كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزازا . وكذلك عثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم .

وكان عمر رضي الله عنه دلالا يسعى بين البائع والمشترى .

وكان سعد بن أبى وقاص يبرى النبل .

وكان الوليد بن المغيرة حدادا . وكذلك أبو العاص أخو أبى جهل .

وكان عقبة بن أبى معيط خمارا .

وكان أبو سفيان بن حرب يبيع الزيت والأدم .

وكان عبد الله بن جدعان نخاسا يبيع الجوارى .

وكان النضر بن الحارث عوادا يضرب بالعود .

وكان الحكم بن أبى العاص خصاء يخصى الغنم . وكذلك حريث بن عمرو ، والضحاك ابن قيس الفهرى ، وابن سيرين .

وكان العاص بن وائل السهمى بيطارا يعالج الخيل .

وكان ابن عمرو بن العاص جزارا . وكذلك أبو حنيفة صاحب الرأى والقياس .

وكان الزبير بن العوام خياطا ، وكذلك عثمان بن طلحة الذى دفع له النبى ﷺ مفتاح الكعبة ، وقيس بن مخرمة .

وكان مالك بن دينار وراقا .

وكان المهلب بن أبى صفرة بستانيا .

وكان قتيبة بن مسلم ، الذى فتح بلاد العجم إلى ما وراء النهر ، جمالا .

وكان سفيان بن عيينه معلما . وكذلك الضحاك بن مزاحم ، وعطاء بن أبى رباح ، والكميت الشاعر ، والحجاج بن يوسف الثقفى وعبد الحميد بن يحيى صاحب الرسائل ، وأبو عبيد الله القاسم بن سلام ، والكسائى . . . هذه صناعة الأشراف .

قال : وأما أديان العرب ، فإن النصرانية كانت فى ربيعة وغسان وبعض قضاعة .

واليهودية كانت فى حمير وكنانة وكندة وبنى الحارث بن كعب .

والمجوسية فى تميم . ومنهم الحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عند كسرى ووفى به ، حتى ضرب المثل به فقالوا : أوفى من قوس حاجب . وفكت أيام النبى ﷺ ، وأهديت إليه .

والزندقة كانت فى قريش .

❁

وما ذكره من كون الزبير بن العوام كان خياطا فيه نظر . والصواب أنه كان جزارا . . . ذكره ابن الجوزى وغيره كما تقدم .

ولأن عمرو بن العاص كان يومئذ كبير مصر وعظيم أهلها ، فأشبه الجزور بالنسبة إلى غيرها من بهيمة الأنعام ، ونحرها موته ، وتفرقة لحمها قسمة أمواله بعد موته . وكان من جملة تركته تسعة أرادب ذهبا .

❁

الجساسة :

الجساسة ، بفتح الجيم وتشديد السين المهملة الأولى . قال ابن سيده : هى دابة فى جزائر البحر تجس الأخبار وتأتى بها الدجال .

وكذا قال أبو داود السجستانى : سميت لتجسسها الأخبار للدجال .

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص : أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن ، وهى بجزيرة ببحر القلزم .

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى وابن ماجة ، عن فاطمة بيت قيس ، قالت : خرج علينا رسول الله ﷺ فقام خطيبا ، فقال : « انى لم أجمعكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن لحديث حدثنيه تميم الدارى. حدثنى أنه ركب سفينة بحرية فى ثلاثين رجلا من لخم وجذام . فألجاهم ريح عاصف إلى جزيرة ، فإذا هم بدابة فقالوا لها : ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : أخبرينا الخبر . قالت : ان أردتم الخبر فعليكم بهذا الدير ، فإن فيه رجلا بالأشواق اليكم . قال : فأتيناه » . . . فذكر الحديث .

وتميم الدارى هذا هو تميم بن أوس بن خارجة بن سويد أبو رقية ، أسلم سنة تسع من الهجرة ، وروى له عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثا ، روى مسلم منها حديث «الدين النصيحة» .

ومن مناقبه العظيمة ، التى لا يشاركه فيها غيره : أن النبى ﷺ روى عنه قصة الجساسة . وروى عنه جماعة من الصحابة كابن عباس وأنس وأبى هريرة وجماعة من التابعين .

وكان بالمدينة ثم انتقل إلى بيت المقدس بعد قتل عثمان . وكان كثير التهجد . وهو أول من قص على الناس ، وأول من أسرج المسجد .

قال الحافظ أبو نعيم : كذلك رواه أبو داود الطيالسى ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ، قال : أول من أسرج المسجد تميم الدارى .

وتوفى تميم سنة أربعين .

جعار :

الضبع ، وفى المثل : أعيث من جعار : أى أفسد . والعيث : الفساد .

قال الشاعر :

فقلت لها عيثى جعار وجررى

بحلم امرىء لم يشهد النوم ناظره

الجعدة :

الشاة .

*

الجعل :

الجعل ، كصـرد ورطب . وجمعه جعـلان ، بكسر الجيم ، والعين ساكنة والناس يسمونه أبا جعران ، لأنـه يجمع الجعر اليابس ويدخره فى بيته .

وهو دويبة مـعروفـة تسمى الزعقـوق ، تعض البهـائم فى فروجـها فتهرب . وهو أكبر من الخنفساء ، شديد السواد ، فى بطنه لون حمرة ، للذكر قرنان .

يوجد كثيرا فى مراح البـقر والجواميس ، ومواضع الروث . ويتولد غالبا من أخثاء البقر .

ومن شأنه جمع النجاسة وادخارها كما تقدم .

ومن عـجيب أمـره أنه يموت من ريح الورد ومن ريح الطيب . فـإذا أعيد إلى الروث عاش .

قال أبو الطيب يصفه فى شعره :

كما تضر رياح الورد بالجعل

وله جناحان لا يكادان يريان إلا إذا طار . وله ست أرجل ، وسنام مرتفع جدا . وهو يمشى القهقرى ، أى يمشى إلى خلف ، وهو مع هذه المشية يهتدى إلى بيته ، وسمى الكبرتل .

٭

وإذا أراد الطيران تنفش ، فيظهر جناحاه فيطير .

ومن عادته أن يحرس النيام . فمن قام لقضاء حاجته تبعه ، وذلك من شهوته للغائط ، لأنه قوته .

روى الطبرانى ، وابن أبى الدنيا فى كتاب «العقوبات» ، والبيهقى فى «شعب الإيمان» ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه قال : ان ذنوب بنى آدم لتقتل الجعل فى جحره .

٭

«الأمثال» : قالوا ألصق من جعل . لأنه يتبع الإنسان إلى الغائط كما تقدم .

قال الشاعر :

إذا أتيت سليمى شب لى جعل

أن الشقى الذى يغرى به الجعل

. . . وهو يضرب للرجل يلصق به من يكرهه ، فلا يزال يهرب منه .

❁

الجعول:

الجعول : ولد النعامة ، لغة يمانية . . . قاله ابن سيده .

الجفرة:

الجفرة ، بفتح الجيم ، ما بلغت أربعة أشهر من أولاد المعز ، وفصلت عن أمها . والذكر جفر ، سمى بذلك لأنه جفر جنباه : أى عظما ، والجمع أجفار وجفار .

❁

والمسك : الجلد . وقيل أن ابن تومرت ، المعروف بالمهدى ، ظفر بكتاب الجفر ، فرأى فيه ما يكون على يد عبد المؤمن صاحب المغرب ، وقصته ، وحليته ، واسمه . فأقام ابن تومرت مدة يتطلبه حتى وجده وصحبه . وكان يكرمه ويقدمه على سائر أصحابه ، وينشده إذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها
فكلنا بك مسرور ومغتبط

السن ضاحكة والكف مانحة
والنفس واسعة والوجه منبسط

ولـم يصح أن ابن تومـرت استخلـف عبد المؤمن عنـد موته ، وانما راعى أصحابه اشارته فى تقديمه واكرامه ، فتم له الأمر .

وعبد المؤمن هو الذى حـمل الناس في المغرب ، حين تم له الأمر ، على مـذهب مالك رحـمـه الله فى الفروع ، وعـلى مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله فى الأصول .

وكان عبد المؤمن ملكا حازما عاقلا سفاكا للدماء ، يقتل على الذنب الصغير .

توفىَ فى جمـادى الآخرة سنة ثمـان وخمسين وخـمسمـائة . ومدة ولايته ثلاث وثلاثون سنة وأشهر .

«وحكمها» : الحل . ويفدىَ بها اليربوع إذا قتله المحرم .

جلكى :

جلكى ، كـمرطى ، نوع مـتولد بين الحـية والسـمك . إذا ذبح لا يخرج منه دم . وعظمه رخو ، يؤكل مع لحمه . يسمن النساء إذا أكل . وهو نعم العلاج لذلك . والله اعلم .

الجلالة :

الجلالة من الحيوان الذى يأكل الجلة والعذرة . والجلة : البعر يوضع موضع العذرة. يقال : جلت الدابة الجلة واجتلتها ، فهى جالة وجلالة ، إذا التقطتها .

روى أبو داود وغيره ، من حديث نافع ، عن ابن عـمر وابن عباس رضى الله عنهم، أن النبى ﷺ نهى عن ركوب الجلالة . وروى الحاكم ، من حديث عن عبـد الله بن عمرو رضى الله عنهمـا ، قال : نهى رسول الله ﷺ عن أكـل لحـم الجـلالـة وشـرب لبنـها ، وألا يحـمل عليـها ولا يركبها الناس ، حتى تعلف أربعين ليلة .

وروى البـيهـقى وغـيـره ، عـن ابن عبـاس رضى الله عنهـما ، أن النبى ﷺ نهى عن الشـرب من السـقـاء ، وعن ركوب الجـلالة ، وعن المجثمة (وهى كل حيوان ينصب ويرمى لـيقتل ، إلا أنها تكثر فى الطيور والأرانب وأشـباه ذلك مما يجـثم بالأرض ، أى يلزمهـا ويلتصق بـها . وجثم الطائر جثوما . وهو بمنزلة البروك للابل) .

وسيأتى الكلام على الجلالة فى فرع فى الكلام على السخلة .

الجلم:

الجلم : اليؤيؤ ، وهو نوع من الصقور .

الجمل :

الذكـر من الإبل . قـال الفراء : هـو زوج الناقة . وكـذا قـال ابن مسعـود لما سئل عن الجمل ، كأنه استـجهل من سأله عمـا يعرفه الناس جميعا .

وجمع الجمل: جمال وأجمال وجمائل وجمالات . قال الله تعالى : ﴿ كأنه جمالات صفر ﴾ .

قال أكثر المفسرين : هى جمع جـمال على تصحيح البناء ، كرجال ورجالات .

وقال ابن عباس وابن جـبير : الجمالات قلوس السفن (وهـى حبالها العظام . . . إذا جمـعت مستـديرة بعضهـا إلـى بعض جاء منهـا أجرام عظام) .

وقال ابن عباس أيضا : الجمالات قطع النحاس العظام . وانما يسمى البعير جملا إذا أربع .

وروى الحاكم ، من حديث قيس بن أبى حازم وابن أبى شيبة ، من حديث ابن عـباس رضى الله عنهـما ، أن رسول الله ﷺ قـال لنسائه : «أيتكن صاحـبـة الجمل الأدبب[1] ، تسيـر أو تخرج حـتى ينبـحهـا كـلاب الحوأب ! » .

(١) الجمـل الأدب (بتشـديد الباء) هو الجـمل الكثيـر الشعـر ، ومثله «الأديب» باظـهار التضعيف .

والحوأب : نهـر بقرب البصرة . والأدبب : الأزبّ ، وهو الكثـير شعر الوجه .

وأما قوله تعالى : ﴿ حتى يلـج الجمل فى سم الخياط ﴾ ، فأراد به الحيوان المعروف . لأنه أعظم الحيوانات المتداولة للإنسان جثة ، فلا يلج الا فى باب واسع . كأنه قال : لا يدخلون الجنة أبدا .

قال الشاعر :

لقد عظم البعير بغير لب فلم يستغن بالعظم البعير

وقرأ ابن عـباس ومـجاهد : الجـمل ، بضم الجيم وتشـديد الميم ، وفسر بحبل السفينة الغليظ .

وسم الخياط هو بخش الإبرة ، أى ثقبها .

وقد ألغز فيها الشاعر فقال :

سعـت ذات سم فى قمـيصى فـغادرت

بـه أثـرا والله يشــفى مـن السـم

كـست قـيـصرا ثـوب الجمـال وتبّـعـا

وكسـرى ، وعادت وهى عـارية الجسم

وكنية الجمل أبو أيوب ، وأبو صفوان .

وفى حديث أم زرع: زوجى لحم جمل غث، على رأس جبل وعر .

وقوله : « يغيظ بذلك المشركين » : معناه أن هذا الجمل كان معروفا لأبى جهل ، فحازه النبى ﷺ . فكان يغيظهم أن يروه فى يد النبى ﷺ وصاحبه قتيل سليب .

وروى أبو داود والترمذى وابن ماجة ، عن العرباض بن سارية ، قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب . فقلنا : يا رسول الله ، هذه موعظة مودع ، فما تعهد إلينا ؟

فقال ﷺ : «قد تركتكم على بيضة بيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك . ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . وعليكم بالطاعة وأن كان عبدا حبشيا . فإنما المؤمن كالجمل الأنف ، حيثما قيد انقاد » .

والأنف . الجمل المخزوم . والأنف الذى لا يمتنع على قائده . وقيل الأنف : الذلول . ويروى : كالجمل الآنف بالمد ، وهو بمعناه .

وفيه : « أن قيد انقاد ، وأن أنيخ على صخرة استناخ» .

والنواجذ ، بالذال المعجمة ، الأشهر أنها أقصى الأسنان : أى تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه .

وفى الحديث : أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه .

والمراد بها هاهنا الضواحك ، وهى التى تبدو عن الضحك . لأنه ﷺ كان ضحكه تبسما .

٭

جمل البحر :

سمة طولها ثلاثون ذراعا . . . كذا قاله ابن سيده .

وللعجاج فيها رجز حسن، قاله الجاحظ فى كتاب «البيان والتبيين» .

وفى حديث أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه أنه أذن فى أكل جمل البحر . وهو سمك شبيه بالجمل .

٭

جمل الماء :

البجع ، وهو الحوصل .

٭

جمل اليهود :

الحرباء .

٭

الجمعليلة :

الجمعليلة ، بفتح الجيم والميم ، الضبع .

جميل وجميل :

طائر جاء مصغرا . والجمع جملان ، مثل كعيب وكعبان .

قال سيبويه : وهو البلبل .

*

الجنبر :

الجنبر ، كمقعد ، فرخ الحبارى . مثل به سيبويه ، وفسره السيرافى . . . كذا قاله ابن سيده .

*

الجندب :

ضرب من الجـراد . وقيل : ذكـر الجراد ، مثلـث الدال ، والجمع جنادب .

قال سيبويه : نونه زائدة .

وقال الجاحظ : أنه يحفـر بذراعيه ، ويغوص فى الطين وفى الأرض إذا اشتد الحر ، وربما يطير فى شدة الحر أيضا .

وفى الحديث : « أن مثل ما بعثنى الله تعالى به ، كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب يقعن فيها» .

وفى حديث ابن مسعود «كان يصلى الظهر والجنادب ينقزن من الرمضاء » : أى تثب من شدة حرارة الأرض .

الجندع :

الجندع ، كقنفذ ، جندب أسود له قرنان طويلان ، وهو أثخن الجنادب ، ولا يؤكل . . . قاله ابن سيده .

وقال أبو حنيفة : الجندع : جندب صغير .

الجن :

أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة . وهم خلاف الأنس ، الواحد جنى .

ويقال أنما سميت بذلك لأنها تتقى ولا ترى .

وجن الرجل جنونا ، وأجنة الله ، فهو مجنون ، ولا تقل مجن .

وقولهم فى المجنون : ما أجنه ! شاذ لا يقاس عليه . لأنه لا يقال فى المضروب ما أضربه ، ولا فى المشكوك ما أشكه .

قال النووى رحمه الله : ابليس كنيته أبو مرة .

واختلف العلماء فى أنه هل هو من الملائكة ، من طائفة يقال لهم الجن، أم ليس من الملائكة؟ وفى اسمه ، هل هو اسم أعجمى أم عربى ؟

قال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جرير والزجاج وابن الأنبارى : كان ابليس من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن . وكان اسمه بالعبرانية عزازيل ، وبالعربية الحارث .

وكان من خزان الجنة ، وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض .

وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما .

وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

فرأى بذلك لنفسه شرفا عظيما وعظمة ، فذاك الذى دعاه إلى الكبر فعصى وكفر ، فمسخه الله شيطانا وجينما ملعونا . نعوذ بالله من خذلانه ومقته ، ونسأله العافية والسلامة فى الدين والدنيا والآخرة .

ولذلك قيل : إذا كانت خطيئة الإنسان فى كبر فلا ترجه ، وان كانت خطيئته فى معصية فارجه .

قالوا : وقوله تعالى : ﴿كان من الجن﴾ : أى من طائفة من الملائكة يقال لهم الجن . وقال سعيد بن جبير والحسن البصرى : لم يكن ابليس من الملائكة طرفة عين . وانه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وقال عبد الرحمن بن زيد وشهر بن حوشب : ما كان من الملائكة قط والاستثناء منقطع . زاد شهر بن حوشب : وإنما كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة ، فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء .

وقال أكثر أهل اللغة والتفسير انما سمى ابليس لأنه ابلس من رحمة الله .

والصحيح ، كما قال الإمام النووى وغيره من الأئمة الأعلام ، أنه من الملائكة ، وأن اسمه أعجمى ، وأن الاستثناء متصل . لأنه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود ، والأصل فى الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه .

وقال القاضى عياض : الأكثر على أنه أبو الجن ، كما أن آدم أبو البشر . والاستثناء من غير الجنس شائع فى كلام العرب ، قال الله تعالى : ﴿ ما لم به من علم الا اتباع الظن ﴾ .

والصحيح المختار ما سبق عن النووى ومن وافقه .

وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال : الجن مؤمنون والشياطين كفار ، وأصلهم واحد .

وسئل وهب بن منبه عن الجن ، ما هم ؟ وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون ؟

فقال : هم أجناس . فأما الصميم الخالص من الجن ، فأنهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ، ولا ينامون فى الدنيا ، ولا يتوالدون .

ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك . وستأتى فى أبوابها أن شاء الله تعالى .

•

« فائدة » : قال القرافى : اتفق الناس على تكفير ابليس بقصته مع آدم عليه الصلاة والسلام . وليس مدرك الكفر فيها الامتناع عن السجود ، والا لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافرا ، وليس كذلك .

ولا كان كفره لكونه حسد آدم على منزلته من الله تعالى ، والا لكان كل حاسد كافرا ، وليس كذلك .

ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه، والا لكان كل عاص وفاسق كافرا . وقد أشكل ذلك على جماعة من متأخرى الفقهاء فضلا عن غيرهم .

وينبغى أن يعلم أنه أنما كفر لنسبته الحق جل جلاله إلى الجور والتصرف الذى ليس بمرضى، وظهر ذلك من فحوى قوله «أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين » . ومراده – على ما قاله الأئمة المحققون من المفسرين وغيرهم – أن ألزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم . . . فهذا وجه كفره لعنة الله .

وقد أجمع المسلمون قاطبة على أن من نسب ذلك الحق تعالى كان كافرا .

•

جنان البيوت :

جنان البيوت (بجيم مكسورة ، ونون مفتوحة مشددة) – وهى الحيات – جمع جان ، وهى الحية الصغيرة ، وقيل الدقيقة الخفيفة ، وقيل الدقيقة البيضاء .

روى البخارى ومسلم وأبو داود ، عن أبى لبابة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ نهى عن قتل الجنان التى فى البيوت ، إلا الأبتر وذا الطفيتين ، فانهما اللذان يخطفان البصر ، ويطرحان أولاد النساء .

والطفيتان ، بضم الطاء ، الخطان الأبيضان على ظهر الحية .

والأبتر قصير الذنب . وقال النضر بن شميل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب ، لا تنظر إليه حامل الا ألقت ما فى بطنها .

وفى كتاب « الحشرات» قال ابن خالويه ، سمعت ابن عرفة يقول : الجنان حيات إذا مشت رفعت رءوسها عند المشى . وأنشد يقول :

رفعن بالليل إذا ما أسدفا أعناق جنان وهاما رجفا

●

الجندبادستر :

حيوان كهيئة الكلب ، ليس ككلب الماء ويسمى القندر .

ويسمى السمور أيضا . وهو على هيئة الثعلب ، أحمر اللون ، ليس له يدان ، وله رجلان وذنب طويل ورأس كرأس الإنسان ووجه مدور .

وهو يمشى متكفيا على صدره ، كأنه يمشى على أربع . وله أربعة خصيات : اثنتان ظاهرتان ، واثنتان باطنتان .

ومن شأنه أنه إذا رأى الصيادين له لأخذ الجندبادستر ، وهو الموجود فى خصيتيه البارزتين ، هرب . فإذا جدوا فى طلبه ، قطعهما بفيه ورمى بهما اليهم ، اذ لا حاجة لهم الا بهما . فإذا لم يبصرهما الصيادون وداوموا فى طلبه استلقى على ظهره حتى يريهم الدم . فيعلمون أنه قطعهما فينصرفون عنه .

وهو إذا قطع الظاهرتين أبرز الباطنتين عوضا عنهما . وفى باطن الخصية شبه الدم أو العسل ، زهم الرائحة ، سريع التفرك إذا جف .

وهذا الحيوان يهرب إلى الماء ويمكث فيه زمانا حابسا نفسه ، ثم يخرج . وهو حيوان يصلح أن يحيا فى الماء وخارج الماء ، وأكثر أوقاته فى الماء . ويتغذى فيه بالسمك والسرطان .

وخصاه تنفع من نهش الهوام ، وتصلح لأشياء كثيرة . وهو دواء محمود ، يسخن الأعضاء الباردة ، ويجفف الرطبة ، وليس له مضرة أصلا فى شىء من الأعضاء .

وله خاصية فى جميع العلل الباردة الرطبة التى تحدث فى الرئة وفى الدماغ .

وينفع من الصمم البارد ، ولا شىء أنفع للريح فى الأذن منه ، وينفع من لدغ العقرب إذا طلى به موضعها . وإذا طلى به الرأس مدوفا بأحد الأدهان نفع المصروعين .

وينفع من الفالج واسترخاء الأعضاء والنقرس البارد منفعة عظيمة ، وإذا شرب كان ترياقا للسموم الباردة كلها ، حيوانية ونباتية ، لاسيما الأفيون .

وهو يلطف الأخلاط ، ويذهب البلغم حيث كان . وينفع الخفقان المتولد من أسباب باردة .

وجلده غليظ الشعر يصلح لبسه للمشايخ والمبرودين . ولحمه نافع للمفلوجين وأصحاب الرطوبات .

وإذا شرب الإنسان من الجندبادستر الأسود وزن درهم ، هلك بعد يوم .

•

الجنين :

هو ما يوجد فى بطن البهيمة بعد ذبحها .

فإن وجده ميتا بعد ذبحها ، فهو حلال باجماع الصحابة ، كما نقله الماوردى فى «الحاوى» . وبه قال مالك والأوزاعى والثورى ، وأبو يوسف ومحمد واسحاق والامام أحمد .

وتفرد أبو حنيفة بتحريم أكله ، محتجا بقوله تعالى : ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ ، وبقوله ﷺ : ﴿أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد ، والكبد والطحال﴾ ، وهذه ميتة ثالثة لم تذكر .

ودليل الجمهور : ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ . قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم : بهيمة الأنعام ، أجنتها توجد ميتة فى بطن الأم . يحل أكلها بذكاة الأمهات ، وهو من أحكام هذه السورة .

٭

جهبر :

جَهْبَر ، كجعفر ، أنثى الدب . وهى إذا أرادت الولادة ، استقبلت بنات نعش الصغرى ، فتسهل ولادتها . وإذا ولدت يكون ولدها قطعة لحم تخاف عليه من النمل، فتنقله من موضع إلى موضع خوفا من النمل .

وربما تركت أولادها وأرضعت ولد الضبع . ولهذا قالت العرب : أحمق من جهبر !

٭

الجواد:

الفرس الجيد العدو ، سمى بذلك لأنه يجود بجريه . والأنثى جواد أيضاً .

قال الشاعر :

نمته جواد لا يباع جنينها

والجمع جود وجياد : كثوب وثياب .

وأجياد جبل بمكة ، سمى بذلك لموضع خيل تبع . ويسمى قعيقعان لموضع سلاحه .

وروى جعفر الفريابى فى كتابه «فضل الذكر» ، عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « لأن أصلى الصبح ثم أجلس فى مجلسى فأذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ، أحب إلىّ من شد على جياد الخيل فى سبيل الله عز وجل » .



الجُواف:

الجُواف ، بالضم والتخفيف ، ضرب من السمك ، وليس من جيده .

ومنه قول مالك بن دينار : أكلت رغيفـا ورأس جوافة ، فعلى الدنيا العفاء : أى الدروس وذهاب الأثر . وقيل العفاء التراب .

⚬

الجوذر :

الجوذر ، بفتح الذال المعجمة وضمها ، والجؤذر ، بالهمزة أيضا مع الواو ، ولد البقرة الوحشية .

قال الشاعر :

ان من يدخل الكنيسة يوما   يلقَ فيها جـــآذرا وظباء

ولقد أجاد على بن اسحاق الزاهى حيث يقول :

وبيض بألحاظ العيـــون كأنـما
هززن سيوفـا واستللن خناجـرا
تصدين لي يومـا بمنعرج اللـوى
فغـادرن قلبـي بالتصـبر غـادرا
سـفرن بدورا وانقــبن أهــــلة
ومِسن غـصونا والتـفتن جـآذرا
وأطلعن فى الأجـياد بالدر أنجـما
جـعلن لحبـات القلوب ضـرائرا

⚬

الجوزل :

الجوزل ، بفتح الجيم ، فرخ الحمام والقطا وأنواعهما .

قال الشاعر :

يا ابنه عمى لا أحب الجوزلا ولا أحب قرصـــك المفلفلا

وانما أحـــــب ظبيا أعــبلا وربما ســـمى الشاب جوزلا

❁

جيال :

جيال، كجبال، اسم للضبع، على فعال. وهى معرفة بلا ألف ولام .

❁

« الأمثال» : قالوا : أنبش من جيال . لأنها تنبش القبور ، وتخرج جيف الموتى من باطن الأرض إلى ظاهرها .

أبو جرادة :

هو الطائر الذى يسمــيه أهل العراق البـاذنجان ، ويسميــه أهل الشام البصير .

يؤخذ لحــمه فيذوب ، ويتــمسح به من كانت البواسـير به ظاهرة ، ينفعه نفعا بينا . والله أعلم .

باب الحاء

حائم :

هو الغراب الأسود ، لأنه يحوم عندهم بالفراق .

قال المرقش :

ولقد غدوت وكنــت لا　　　أغدو على واق وحائم

فإذا الاشائم كالأيـــــا　　　من والأيامن كالأشائم

وكذلك لا خيــــر ولا　　　شر على أحد بدائـــم

٭

الحارية :

نوع من الأفعى .

الحباب :

الحباب الحية . قال الجـوهرى : وإنما قيل لها ذلك لأن الحباب اسم شيطان ، والحية يقال لها شيطان .

روى عن سعيد بن المسيب أنه قال : بلغنى أن النبى ﷺ غير اسم رجل من الأنصار كان اسمه الحباب. وقال: «الحباب اسم شيطان» .

وقال أبو داود فى باب تغيير الاسم القبيح : وغير النبى ﷺ اسم: العاص ، وعزيز ، وعتلة ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وشهاب ، وحباب .

والرجل الذى غير النبى ﷺ اسمه هو عبد الله بن عبد الله بن أبىٍّ ابن سلول . كان اسمه الحباب فسماه النبى ﷺ عبد الله . وأبوه كان يكنى أبا الحباب .

o

الحبتر :

هو الثعلب .

o

الحبث :

حية بتراء ذات سم قاتل .

o

حُباحِب :

حباحب ، كهداهد ، حيوان له جناحان كالذباب ، يضىء بالليل كأنه نار .

وقد ضربت العرب به المثل ، فقالوا : أضعف من نار الحباحب .

وقيل : الحباحب اسم رجل من محارب بن خصفة مشهور بالبخل . كانت له نار ضعيفة يوقدها مخافة الضيفان . فضربوا به المثل لذلك .

قال الجوهرى : وربما قيل نار أبى الحباحب ، وهو ذباب .

وقال فى « المرصع » : يقال للنار القليلة التى لا ينتفع بها ، وللذباب الطائر فى الليل : أبو حباحب ، غير مصروف .

قلت : وهذا الطائر يسمى القطرب ... ذكره ابن البيطار وغيره .

وقال فى الصحاح . القطرب طائر .

«وحكمه » : تحريم الأكل لأنه من الحشرات .

●

الحبارى :

الحبارى ، بضم الحاء المهملة وفتح الموحدة ، طائر معروف .

وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى ، واحده وجمعه سواء . وان شئت قلت فى الجمع حباريات .

قال الجوهرى : وألف حبارى ليست للتأنيث ولا للالحاق ، وإنما بنى الاسم عليها فصارت كأنها من نفس الكلمة لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة : أى لا تنون .

قلت : وهذا سهو منه . بل ألفها للتأنيث ، كسمانى . ولو لم تكن له لانصرفت .

وأهل مصر يسمون الحبارى : الحبرج ، وهى من أشد الطير طيرانا وأبعدها شوطا . وذلك أنها تصاد بالبصرة فيوجد فى حواصلها الحبة الخضراء التى شجرها البطم ومنابتها تخوم بلاد الشام .

ولذلك قالوا فى المثل : أطلب من الحبارى .

وإذا نتف ريشها، أو تحسر وأبطأ نباته ، ماتت كمدا . . . والكمد : الحزن المكتوم .

وهو طائر طويل العنق ، رمادى اللون ، فى منقاره بعض طول .

وقال الجاحظ : الحبارى لها خزانة فى دبرها وأمعائها ، لها أبدا فيها سلح رقيق . فمتى ألح عليها الصقر سلحت عليه ، فينتف ريشه كله ، وفى ذلك هلاكه .

وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحا لها .

قال الشاعر :

وهم تركوك أسلح من حبارى رأت صقرا ، وأشرد من نعام

وولدها يقال له نهار ، وفرخ الكروان يقال له ليل . ولذلك قال الشاعر :

ونهارا رأيت منتصف الليـــ ـــل وليل رأيت وسط النهار

٭

«الحكم» : يحل أكلها لأنها من الطيبات .

روى أبو داود والترمذى ، عن يزيد بن عمرو بن سفينة مولى رسول الله ﷺ ، عن أبيــه ، عن جده ، أنــه قال : أكلت مع رسـول الله ﷺ حبارى .

قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

٭

«الأمثال» : قالوا : أكمد من الحبــارى . كما تقدم . وقال عثمان : كل شىء يحب ولده حتى الحبارى .

وانما خصهــا بالذكر لأنها يضرب بها المثـل فى الحمق . فهى على حمقها تحب ولدها فتطعمه . وتعلمه الطيران كغيرها من الحيوان .

وقالوا : أسلح من الحبارى حالة الخوف ، وأسلح من الدجاج حالة الأمن .

وقــالوا : الحبــارى خــالة الكـروان . وقــالوا : أقــصــر من إبهــام الحبارى ، ومن إبهام القطاة .

٭

«الخواص» : لحم الحبـارى بين لحم الدجاج ولحم البط فى الغلظ ، وهو أخف من لحـم البط لأنه برى . وهو حـار رطب جـدا وأجـوده المخاليف المكدودة قبل الذبح .

٭

الحبرج :

الحبرج، ذكر الحبارى، والبحبور ولدها، وقيل اليحبور من طير الماء .

القراد : قالت الخنساء :

فلست بمرضع ثديى حبركى   أبوه من بنى جشم بـن بكر

والأنثى حبركاة .

وقال أبـو عمرو الجـرمى : قد جـعل بعضـهم الألف فى حبـركى للتأنيث ، فلم يصرفه .

وربما شبه به الرجل الغليظ الطويل الظهر القصير اليدين .

٭

حبلّق :

حبلّق ، كعملّس ، غنم صغار لا تكبر وقيل قصاز الغنم ودقاقها .

٭

حبيش:

قال الجوهرى : هو طائر جاء مصغرا ، كالكميت والكعيب .

والكعيب البلبل .

❁

الحجر:

الحجر ، الأنثى من الخيل ، لم يدخلوا فمه الهاء لأنه اسم لا يشركها فيه الذكر .

والجمع أحجار وحجور .

وقيل أحجار الخيل ما يتخذ منها للنسل ، وليس بقوى .

وفى « كامل » ابن عدى فى ترجمة محمد ابن عبد الله العرزمى ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبى ﷺ قال : «ليس فى حجرة ولا بغلة زكاة» . وهذا يدل على أنه يقال لها حجرة بالهاء .

لكن فى «المستدرك»، من حديث أبى حيان التيمى، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ كان يسمى الأنثى من الخيل فرسا .

❁

الحجروف :

دويبة طويلة القوائم أعظم من النمل . . . حكاه ابن سيده .

*

الحجل :

الحجل بالفتح ، الذكر من القبج ، الواحدة حجلة . واسم جمعه حجلى ، ولم يأت جمع على فعلى يكسر الفاء الا حرفان : حجلى وظربى جمع ظربان . وهو دويبة منتنة الريح .

والحجل طائر على قدر الحمام كالقطا ، أحمر المنقار والرجلين . ويسمى دجاج البر .

وهو صنفان : نجدى وتهامى . فالنجدى أخضر اللون أحمر الرجلين . والتهامى فيه بياض وخضرة .

وفراخ هذا الطائر تخرج كاسية .

ومن شأنها إذا لم تلقح أن تتمرغ فى التراب وتصبه علي أصول ريشها فتلقح .

ويقال أنها تبيض من سماع صوت الذكر ، أو بريح تهب من قبله . وإذا باضت ميز الذكر الذكور منها فحضنها ، وهى تحضن الأناث . وهما كذلك فى التربية .

قال التوحيدى : ويعـيش الحجل عشر سنين . ويصنع عشين يجلس الذكر على واحد والأنثى على واحد .

ومن طبع الحجل أنه يأتى أعشـاش نظرائه فيأخذ بيضـها ويحضنه ، فإذا طارت الفراخ لحقت بأمهاتها التى باضتها .

وفى تركيبـه قوة الطيران ، حتى أن الإنســان إذا لم يره يظنه حجرا خرج من مقلاع .

والذكر شـديد الغيرة على الأنثى ، فلذلك إذا اجـتمع ذكران اقتـتلا على الأنثى ، فأيهما غلب ذل الآخر ، وتبعت الأنثى الغالب منهما .

وفى طبع الذكر أن يخدع أمثاله بقرقرته . ولهذا يتخذه الصيادون فى أشراكهم ليكثر القرقرة ، فيجتمع إليه أبناء جنسه فيقمن معه . وهو يفعل ذلك الكاحسد لها والمنتقم منها .

والأنثى إذا أصـيب بيـضهـا ، قصـدت عش غيرها وغـلبتهـا على بيضها ، أو تسرقه وتحضنه .

•

« الأمثـال » : ضرب النبى ﷺ المثل بالحـجل . قال : «اللهم انى أدعو قريشـا ، وقد جعلوا طعامى طعام الحـجل » : يريد أنه يأكل الحبة بعد الحبة ، لا يجدُّ فى الأكل .

•

الحدأة :

الحدأة ، بكسر الحاء المهملة ، أخس الطير ، وكنيته أبو الخطاف وأبو الصلت . ولا تقل حدأة ، بفتح الحاء ، لأنها الفأس التى لها رأسان .

وقد جاء فى الحديث الحُديَّا على وزن الثريا . . . كذا قيده الأصيلى . وقد جاء الحدياة بغير همزة وفى بعض الروايات الحديأة بالهمزة كأنه تصغير . . . ذكره الصاغانى .

قال : وصواب تصغيره الحديأة بالهمزة ، وأن ألقيت حركة الهمزة على الياء ، شددتها وقلت الحُديَّة على مثال علية .

وفى الحديث : « لا بأس بقتل الحدو والأفعو» .

قال الأزهرى : هى لغة فيهما .

وقال ابن السراج : بل هى على مذهب الوقف لا على هذه اللغة . قلب الألف واوا على لغة من قال حدا ، وكذا أفعى .

وروى الحافظ النسفى ، فى كتاب «فضائل الأعمال» ، باسناده إلى حماد بن سلمة ، أن عاصم بن أبى النجود ، شيخ القراء فى زمانه ، قال : أصابتني خصاصة ، فجئت إلى بعض اخوانى فأخبرته بأمرى ، فرأيت فى وجهه الكراهة .

فخرجت من منزلة إلى الجبانة فصليت ما شاء الله ، ثم وضعت وجهى على الأرض وقلت : يا مسبب الأسباب ، يا مفتح الأبواب ، يا سامع الأصوات ، يا مجيب الدعوات ، يا قاضى الحاجات . . . أكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عمن سواك .

قال : فو الله ما رفعت رأسى حتى سمعت وقعة بقربى ، فرفعت رأسى فإذا حداة طرحت كيسا أحمر فأخذت الكيس فإذا فيه ثمانون دينارا وجوهرة ملفوفة فى قطنة مندوفة .

قال : فبعت الجوهرة بمال عظيم وفضلت الدنانير ، فاشتريت بها عقارا ، وحمدت الله على ذلك .

وحكى القشيرى فى «الرسالة» فى آخر باب كرامات الأولياء ، عن شبل المروزى ، أنه اشترى لحما بنصف درهم فاستلبته منه حدأة ، فدخل شبل مسجدا يصلى فيه . فلما رجع إلى منزله قدمت له زوجته لحما .

فقال لها : من أين لكم هذا ؟

فقالت : تنازع حدأتان فسقط هذا منهما .

فقال شبل : الحمد لله الذى لم ينس شبلا ، وان كان شبل ينساه .

وفى كتاب «المجالسة» للدينورى ، فى الجزء الثالث ، عن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، قال : كان سعد بن أبى وقاص بين يديه لحم ، فجاءت حدأة فأخذته، فدعا عليها سعد . فاعترض عظم فى حلقها فوقعت ميته .

وروينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبد القادر الجيلى ، قدس الله روحه ، جلس يوما يعظ الناس . وكانت الريح عاصفة ، فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت ، فشوشت على الحاضرين ماهم فيه .

فقال الشيخ : يا ريح ، خذى رأس هذه الحدأة . فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى ناحية .

فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيده ، وأمر يده الأخرى عليها . وقال : بسم الله الرحمن الرحيم . . فحييت وطارت، والناس يشاهدون ذلك .

•

«الأمثال» : قالوا : حدأة حدأة ، وراءك بندقة . قال أبو عبيدة : يراد بذلك هذه الحدأة التى تطير ، والبندقة ما يرمى به . . . يضرب للتحذير .

•

الحذف :

الحذف ، بفتح الحاء والذال المعجمة ، غنم سود صغار من غنم الحجاز ، الواحدة حذفة .

وفى حديث الصلاة : «لا يتخللكم الشياطين كأنها حذف» ، وفى

رواية : « .... كأولاد الحذف » . وقيل : يا رسول الله ، ما أولاد الحذف ؟ قال : « ضأن سود جرد صغار تكون باليمن» .

❁

الحر :

الفرس العتيق ، وفرخ الحمامة ، وقيل الذكر منها ، وولد الظبية ، وولد الحية والصقر والبازى .

وقال ابن سيده : الحر طائر صغير أنمر أصقع ، قصير الذنب ، عظيم المنكبين والرأس . وقيل أنه يضرب إلى الخضرة . وهو يصيد .

❁

الحرباء :

كنيته أبو جخادب ، وأبو البزنديق ، وأبو الشقيق ، وأبو قادم ، ويقال له جمل اليهود كما تقدم .

قال الامام القزوينى فى كتاب «عجائب المخلوقات» : لما كان الحرباء خلقا بطىء النهضة ، وكان لابد له من القوت ، خلقه الله على صورة عجيبة .

فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير

حركـة فى يديه ولا قصد إليه ، ويبـقى كأنه جامـد ، أو كأنه ليس من الحيوان .

ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى ، وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها .

ثم إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغـيره ، أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ، ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة .

وخلق الله لسـانه بخلاف المعـتاد ليلحق مـا بعد عنه بـثلاثة أشـبار ونحوها . . . يصطاد به على هذه المسافة .

وإذا رأى ما يروعـه ويخوّفه ، تشكل وتكون على هيئـة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ، ويكرهه بسبب ذلك التلون .

والحرباء أكبـر من العظاية ، وهى تستقبل الشمس ، وتدور مـعها كيفـما دارت . وتتلون بحر الشـمس - كما قال الإمـام الغزالى - ألوانا مختلفة ، فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت .

وهو ذكر أم حبين . والجمع الحرابى ، والأنثى حرباءة .

•

«الأمثـال» : قالوا : فـلان يتلون تلون الحرباء . . . يـضرب لمن لا يثبت على حالة .

وقالوا : أجود من عين الحرباء . وأحزم من الحرباء ، لما تقدم . والحزم : الاحتراس ، والنظر فى الأمر قبل الأقدام عليه .

٥

الحرذون :

الحِرذون ، بكسر الحاء والذال المعجمة ، دويبة شبيهة بالضب . وقيل هو ذكر الضب ، لأنه له ذكرين مثله .

وهو من ذوات السموم ، يوجد فى العمران المهجورة كثيرا ، له كف ككف الإنسان مقسومة الأصابع إلى الأنامل . وجلده لا برص فيه بخلاف سام أبرص .

والحق أنه غير الورل . . . خلافا لعبد اللطيف البغدادى .

٥

«الخواص» : قال أرسطو : من أطّلى بشحم الحرذون وألقى نفسه على التمساح لم يضره التمساح . وإذا شم رائحته خدر، وانقلب على ظهره .

وأن أحرق جلده واطّلى به إنسان لم يحس بألم الضرب والقطع ، ولو فرق بين رأسه وجسده . والعيارون يفعلون ذلك ، فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيره .

والجرذون يقتل العقرب ، وإذا علق شحمه على صاحب حمى الربع في خرقة سوداء أبرآه وأزالها .

وقال مهراريس : انما يعلق قلبه على الوصف الذى تقدم .

٭

الحرشاف أو الحرشوف :

الجراد المهزول الكثير الأكل ، الواحدة حرشافة .

وفى حديث خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت رضى الله عنهما، لما قال لها : أنت كظهر أمى ، وجاءت تستفتى له رسول الله ﷺ وتشتكى إلى الله ، فأنزل الله عز وعلا فيها : ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله﴾ . . .

قال لها النبى ﷺ : «مريه أن يعتق رقبة» .

قالت : والله ما يجد رقبة ، وما له خادم غيرى .

قال : «مريه فليصم شهرين متتابعين» .

قالت : والله يا رسول مايقدر على ذلك ، أنه ليشرب فى اليوم كذا وكذا مرة ، قد ذهب بصره مع ضعف بدنه ، وانما هو كالحرشافة ، شبهته بالجراد المهزول الكثير الأكل .

٭

الحرقوص:

الحرقـوص – بضم الحاء المهـملة ، وبالقاف المضـمومـة ، والصاد المهملة فى آخره ، وبالسين فى لغة عوض الصاد – دويبة كالبرغوث صغير أرقط بحـمـرة أو صفـرة . ولونه الغـالب عليـه السـواد . وربما نبت له جناحان فطار .

قال الراجز :

ما لقى البيض من الحرقوص ... يدخل تحت الحلق المرصوص

من مارد لص من اللصـوص ... بمهر لا غال ولا رخيـــص

. . . أراد بلا مهر أصـــلا

وقيل : هى دويبة مثل القراد ، وأنشدوا :

مثل الحراقيص على حمار .

وفى «ربيع الأبرار» للزمخشرى : أنها ويبـة أكبر من البـرغوث ، وعضها أشد من بيضه . وهى مـولعة بفروج النساء تولع النمل المذاكير . وينبت لها جناحان كما ينبت للنملة .

وقيل الحرقوص البرغوث بعينه . واحتج بقول الطرماح :

ولو أن حـرقوصـا على ظهـر قـملة

يكر علـى صـفى تمـيـم لولـــت

ويقال له النهيك . وقالت أعرابية :

يا أيها الحرقوص ، مهلا مهلا أأبلا أعيتنى أم بحـــــلا

أم أنت شىء لا تبالى الجهلا

وقال ابن سيده : الحرقوص دويبه محرمـه ، لها حمة كحمة الزنبور تلدغ بهـا كأطراف السـياط . ولـذا يقال لمن ضـرب بأطراف السيـاط : أخذته الحراقيص .

الحريش :

نوع من الحيات أرقط هكذا قال الجوهرى .

وقال بعـد هذا : الحريش دابة لها مخـالب كمخالب الأسـد ، ولها قرن واحد فى هامتها . ويسميها الناس الكركدن .

وقال أبو حـيان التـوحيـدى : هى دابة صغـيرة فى جـرم الجدى ، ساكـنة جـدا . غيـر أن لها من قـوة الجسم وسـرعة الحركـة ما يعــجز القناص . ولها فى وسط رأسهـا قرن واحد مصمت مسـتقيم ، تناطح به جميع الحيوان فلا يغلبها شىء .

ويحتال لصيـدها بأن تتعرض لها فتاة عذراء أو صبـية ، فإذا رأتها وثبت إلى حجرها كأنها تريد الرضاع ، وهذه محبة فيها طبيعة ثابتة .

فإذا هى صارت فى حجر الفتاة أرضعتها من ثديها على غير حضور اللبن فيها ، حتى تصير كالنشوان من الخمر . فيأتيها القناص على تلك الحالة ، فيشدها وثاقا على سكون منها بهذه الحيلة .

وقال القزوينى فى «الأشكال» : الحريش حيوان حجم الجدى ، ذو عدو شديد ، وعلى رأسه قرن واحد كقرن الكركدن . وأكثر عدوه على رجليه . لا يلحقه شىء فى عدوه . ويوجد فى غياض بلغار وسجستان .

❁

الحسبان :

الجراد . واحده حسبانة . وكذلك النملة الصغيرة .

❁

الحساس :

جنس من السمك صغار ، وهو الهف .

❁

الحسل :

ولد الضب . والجمع أحسال وحسول وحسلان وحسلة . يقال ذلك لولد الضب حين يخرج من بيضته . وكنية الضب أبو حسل .

«الأمثـال» : قالوا : لا آتيك سن الحسل : أى أبدا ، لأن سنها لا تسقط حتى تموت .

وأنشد العجاج يقول :

أنك لو عُمِّرت عـمر الحسل ... أو عمر نوح زمـن الفِطَحْلَ

والصخر مبتل كطين الوحل ... كنت رهـين هـرم وقتـل

الفطحل ، على وزن الهـزبر ، زمن لم يخلق فيـه الناس ، وكانت الحجارة فيه رطبة .

❁

الحسيل :

ولد البقرة الأهلية ، لا واحد له من لفظه ، والأنثى حسيلة . . . كذا قاله الجوهرى ، وهو وهم .

والصواب : الحسيل أولاد البـقر ، واحـده حسيلة . لأنـه سمع له واحد من لفظة .

وفى «كفاية المتحفظ» : الحسيلة البقرة ، وجمعها حسائل .

❁

حسون :

عصفور ذو ألوان بحمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة . يسميه أهل الأندلس أبا الحسن ، والمصريون أبا رقاية ، وربما أبدلوا الزاى سينا .

وهو يقبل التعليم ، فيعلم أخذ الشيء من يد الإنسان المتباعد ، ويأتى به إلى مالكه .

وهو داخل فى عموم العصافير .

❁

الحشرات :

صغار دواب الأرض ، وصغار هوامها ، الواحدة حشرة بالتحريك .

وابن أبى الأشعث يسمى جميع هذا الحيوان الأرضى ، لأنه لا يفارقها إلى الهواء ولا إلى المياه .

وهو يأوى في جِحَرته ويركز فى بطنها ، ولا يحتاج إلى شرب الماء ولا إلي شم النسيم .

وهو قرين الأفاعى والحيات والجرذان الأهلية والبرية واليربوع والضب والجرذون والقنفذ والعقرب والخنفساء والوزغ والنمل والحلم ، وأنواع أخرى سيأتى منها ما لم يتقدم له ذكر .

الحشو والحاشية :

صغار الإبل التى لا كبار فيها ، وكذلك من الناس .

٭

الحصان :

الحصـان ، بكسر الحاء المهـملة ، الذكر من الخيل ، قـيل انما سمى حصانا لأنه حصن ماءه فلم ينز الا على كريمة .

٭

الحصور :

الناقة الضيقة الاحليل. والحصور من الرجال الذى لا يقرب النساء .

٭

حضاجر :

اسم للذكر والأنثى من الضباع. سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه . وهو معرفة . قال الحطيئة :

هلا غضب لرحل جا　　　رك اذ تنبذه حضـاجر

. . . كذا أنشده ابن سيده

وأنشد الجوهرى :

هلا غضبت لجار بيتك

قال السيرافى : وإنما جعل اسما لها على لفظ الجمع ارادة للمبالغة .

وقال سيبويه : سمعنا العرب تقول : وطب حضجر ، وأوطب حضاجر . ولذلك لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة ، لأنه اسم لواحد علي بنية الجمع .

وقال ابن الحاجب فى كافيته : وحضاجر اسم علم للضبع غير منصرف ، لأنه منقول عن الجمع .

قلت : وهو الأوجه . والله أعلم .

٥

الحضب :

الذكر الضخم من الحيات . وقيل حية دقيقة . وقيل الأبيض من الحيات . .

الحفان :

فراخ النعام ، واحدها حفانة ، والذكر والأنثى فيه سواء . وربما سموا صغار الأبل حفانا .

الحفص :

ولد الأسد . وبه سمى الرجل حفصا .

٭

الحقم :

ضرب من الطير يشبه الحمام ، ويقال أنه الحمام نفسه .

٭

الحلزون :

دود فى جوف أنبوبة حجرية ، يوجد فى سواحل البحار وشطوط الأنهار .

وهذه الدودة تخرج بنصف بدنها من جوف تلك الأنبوبة الصدفية ، وتمشى يمنة ويسرة تطلب مادة تتغذى بها .

فإذا أحست بلين ورطوبة أنبسطت اليها ، وإذا أحست بخشونة أو صلابة انقبضت وغاصت فى جوف الأنبوبة الصدفية ، حذارا من المؤذى لجسمها . وإذا انسابت جرت بيتها معها .

٭

الحلكة :

الحُلُكَة والحُلُكَاءُ والحَـلْكاءُ والحلْكَى (بفتح الحاء المهملة وضمها وكسرها) ، دويبة شبيهة بالعظاية تغوص فى الرمل .

✿

الحلم:

القراد العظيم ، الواحدة حلمة .

وقال الجوهرى : هو مثل القمل ، وسيأتى أنه القراد المهزول .

قال : والحلم أيضا دود يقع فى جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل . فإذا دبغ لم يزل ذلك الموضع رقيقا . يقال : حلم الأديم (بكسر اللام) يحلم (بفتحها) حلما ، إذا أكله .

قال الشاعر ، وهو الوليد بن عقبة بن أبى معيط :

فانك والكتاب إلى على كدابغة وقد حلم الأديم

قال ابن السكيت : وهذه الدويبة هى التى تأكل الكتب وتمزق الأوراق .

وفى الحديث أن ابن عمر رضى الله عنهما كان ينهى أن تنزع الحلمة من آذن دابته .

الحمار الأهلي :

الحمار جمعه حمير وحمر وأحمره ، وربما قالوا للأتان حمارة ، وتصغيره حمير ومنه توبة ابن الحمير صاحب ليلى الأخيلية .

وكنية الحمار أبو صابر وأبو زياد .

قال الشاعر :

زياد لست أدرى من أبوه ولكن الحمار أبو زياد

ويقال للحمارة أم محمود ، وأم تولب ، وأم جحش ، وأم نافع ، وأم وهب .

وليس فى الحيوان ما ينزو على غير جنسه ويلقح الا الحمار والفرس . وهو ينزو إذا تم له ثلاثون شهرا .

ومنه نوع يصلح لحمل الأثقال ، ونوع لين الأعطاف ، سريع العدو ، يسبق براذين الخيل .

ومن عجيب أمره أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف ، يريد بذلك الفرار منه !

قال حبيب بن أوس الطائى يخاطب عبد الصمد بن المعدل ، وقد هجاه :

أقـدمت ويحك من هجـوى على خطر

والعين يقـدم من خـوف عـلى الأسـد

ويوصـف بالهـدايـة إلى سلوك الطرقـات التى مشى فـيها ولـو مرة واحدة ، وبحدة السمع .

وللناس فى مدحه وذمه أقوال متباينة بحسب الأغراض .

•

وفى تاريخ ابن خلكان ، فى ترجـمة الحاكم العـبيـدى ، أن الحاكم بأمر الله كـان له حمار أشهب يدعى بقـمر يركبه . وكـان يحب الأنفراد والركوب وحده .

فخرج راكبـا حماره ليلة الأثنين سابع عشر شـوال سنة احدى عشرة وأربعمـائة إلى ظاهر مصر . وطاف لـيلته كلها ، وأصـبح متوجـها إلى شرقى حلوان ومعه راكبان ، فأعاد احدهما ثم أعاد الآخر .

وبقى الناس يحرجـون يلتمسـون رجوعه ، ومـعهم دواب الموكب ، إلى يوم الخميس سلخ ، الشهر المذكور .

ثـم خرج ، ثانى القعدة ، جماعة من الموالى والأتراك ، فأمعنوا فى طلـبه وفى الدخـول فى الجبل . فرأوا حـماره الأشهب الذى كان راكـبا عليه ، وهو علي قـرنة الجبل ، وقد ضربت يداه ورجلاه بـسيف ، وعليه سرجه ولجامه .

فتبعوا الأثر . فإذا أثر حمار وأثر راجل خلفه وراجل قدامه . فقصوا الأثر إلى البركة التى فى شرقى حلوان ، فنزل فيها رجل فوجد فيها ثيابه . وهى سبع جبات ، ووجدت مزرورة لم تحل أزرارها ، وفيها آثار السكاكين ، فحملت إلى القصر .

ولم يشكوا فى قتله ، غير أن جماعة من المغالين فى حبهم له ، السخيفى العقل ، يدعون حياته وأنه سيظهر ، ويحلفون بغيبة الحاكم .

ويقال أن أخته دسته عليه من قتله .

وكان الحاكم جوادا بالمال ، سفاكا للدماء ، وكانت سيرته عجبا ، يخترع كل يوما حكما يحمل الناس عليه .

فمن ذلك أنه أمر الناس سنة خمس وتسعين وثلثمائة بكتب سب الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى حيطان المساجد والقياسر والشوارع . وكتب إلى سائر الديار المصرية يأمرهم بالسب .

ثم أمر بقطع ذلك فى سنة سبع وتسعين ، وأمر بضرب من يسب الصحابة وتأديبه !

وأمر بقتل الكلاب ، فلم ير كلب فى الأسواق والأزقة إلا قتل .

ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا . ثم نهى عن بيع الزبيب قليله وكثيره . وجمع جملة كثيرة وأحرقت ، وأنفقوا على أحراقها خمسمائة دينار . ثم نهى عن بيع العنب أصلا .

وألزم اليهود والنصارى أن يتميزوا فى لباسهم عن المسلمين فى الحمامات وخارجها . ثم أفراد حماما لليهود وحماما للنصارى .

وألزمهم ألا يركبوا شيئا من المراكب المحلاة ، وأن تكون ركبهم من الخشب . وألا يستخدموا أحد من المسلمين ، ولا يركبوا حمار المكارى المسلم ، ولا سفينة نواتيها مسلمون .

وأمر بهدم القمامة فى سنة ثمان وأربعمائة وجميع الكنائس بالديار المصرية ، ووهب جميع ما فيها من الآلات وجميع ما لها من الأحباس لجماعة من المسلمين .

وأمر ألا يتكلم أحد فى صناعة النجوم وأن ينفى المنجمون من البلاد ، وكذلك أصحاب الغناء .

ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا ، ومنع الأساكفة من عمل الأخفاف للنساء ، ولم تزل النساء ممنوعات من الخروج إلى أيام ولده الظاهر مدة سبع سنين .

ثم أمر ببناء ما كان هدم من الكنائس ، ورد ما كان قد أخذ من أحباسها !

وحلوان مدينة كثيرة النزه ، فوق مصر بخمسة أميال . كان يسكنها عبد العزيز بن مروان ، وبها توفى . وبها ولد ولده عمر بن عبد العزيز .

قلت : وفى قوله ليلة الأثنين سابع عشر ، وقوله إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، نظر ظاهر ، والله أعلم .

●

وفى «رسالة» القشيرى ، فى باب كرامات الأولياء ، سمعت أبا حاتم السجستانى يقول : سمعت أبا نصر السراج يقول : سمعت الحسين ابن أحمد الرازى يقول : سمعت أبا سليمان الخواص يقول : كنت راكبا حمارا يوما ، وكان الذباب يؤذيه فيطأطىء رأسه ، وكنت أضرب رأسه بخشبة فى يدى .

فرفع الحمار رأسه الىّ وقال : اضرب ، فانك هكذا على رأسك تضرب .

قال الحسين : فقلت لأبى سليمان : لك وقع هذا ؟

قال : نعم ، كما تسمعنى .

●

«تذنيب» : روى البيهقى فى الشعب ، عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، أنه قال : كانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبون الحمر ، ويلبسون الصوف ، ويحلبون الشاة .

وكان للنبى ﷺ حمار اسمه عفير (يعنى بضم العين المهملة ، وضبطه القاضى عياض بالغين المعجمة ، وقد اتفقوا على تغليطه) أهداه له المقوقس .

وكـان فروة بن عـمـرو الجذامى أهدى لـه حمـارا يقـال له يعفـور (مأخـوذان من العـفرة ، وهو لون التـراب) . فنفق يعفـور فى منصـرف النبى ﷺ مع حجة الوداع .

وذكر السهيلى أن يعفور أطرح نفسه فى بئر يوم موت النبى ﷺ .

●

«الأمثال» قالوا : عشر تعشير الحمار . قال الجوهرى : تعشير الحمار نهيقه عشرة أصوات فى طلق واحد .

قال الشاعر :

لعمـرى لئن عشرت من خيـفة الردى

نهـــاق حـــمـــار أننى لجـــزوع

وذلك أنهم كانوا إذا خافوا وباء بلد ، عشروا كتعشير الحمار قبل أن يدخلوه . وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعه .

وقوله تعالى : ﴿مـثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحمـلوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ . أى يثقله حملها ولا ينفعه علمها .

وكل من يعلم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله .

وفى الحديث : «يؤتى بالرجل يوم القـيامة فـيلقى فى النار ، فتندلق أقتـاب بطنه ، فيدور كمـا يدور الحمار فى الرحـا . فيطيف به أهل النار

فيقولون : ما لك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه» .

والأقتاب الأمعاء ، واحدها قتب بالكسر .

وقالت العرب : هم يتهارجون تهارج الحمر : أى يتسافدون .

والهرج كثرة النكاح ، يقال بات يهرجها ليلة جميعا .

وروى الحافظ أبو نعيم ، عن أبى الزاهرية ، عن كعب الأحبار ، قال : يمكث الناس بعد يأجوج ومأجوج فى الرخاء والخصب والدعة عشر سنين . حتى أن الرجلين يحملان الرمانة الواحدة بينهما ، ويحملان العنقود الواحد من العنب ، فيمكثون على ذلك عشر سنين . ثم يبعث الله ريحاً طيبة فلا تدع مؤمنا ولا مؤمنة الا قبضت روحه . ثم يبقى الناس بعد ذلك يتهارجون تهارج الحمر فى المروج ، حتى يأتى أمر الله والساعة وهم على ذلك .

وقالوا : بال حمار فاستبال أحمرة : أى حملهن على البول . . . يضرب فى تعاون القوم على ما يكره .

وقالوا : اتخذ فلان حمار الحاجات . . . يضرب للذى يمتهن فى الأمور .

وقالوا : تركته جوف حمار : أى لا خير فيه .

وقالوا : أصبر من حمار .

وقالوا : شر المال ما لا يذكى ولا يزكى . . . أشاروا بذلك إليه .

وقالوا : ما بقى منه الا قدر ظمء حمار ، لأنه أقصر الحيوان ظمئا .

قال الجوهرى فى مادة عشا ، قال الشاعر :

غدونا غـدوة سـحرا بليل عشاء بعد ما انتصف النهار
قصدناها حمارا ذا قـرون أكلنا اللحم وانفلت الحمار

وفى معنى هذا البيت وجهان ، أحـدهما : أنا أتعبـناه حتى أكلنا لحمه لشدة الأضرار به من العدو ، ثم انفلت .

والثانى أنَّا ذبحناه فأكلناه أكلا لم يبق منه شىء فكأنه انفلت . وقوله « ذا قرون » : أى مُسِناً قد أتت عليه قرون من الدهر .

وقالوا : أذل من حمار مقيد . قال الشاعر :

ومـا يقـيـم بدار الذل يعـرفـــهـا
الا الأذلان عــيــر الحى والوتـــد
هذا على الخـسف مـربوط برمـتـه
وذا يشـج فـــلا يـرثى له أحـــد

❁

الحمار الوحشى :

ويسمى الفراء ، ويقـال حمار وحش وحمار وحـشى ، وهوالعير . وربما أطلق العير على الأهلى أيضا .

والحمار الوحشى شديد الغيرة ، فلذلك يحمى عانته الدهر كله . ومن عجيب أمره أن الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكرا كدم الفحل خصيتيه . فالأنثى تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى يسلم . وربما كسرت رجل التولب كى لا يسعى ، ولا تزال ترضعه إلى أن يكبر فيسلم من أبيه .

وأشار إلى ذلك الحريرى بقوله فى المقامة الثالثة عشرة :

يارازق النعاب فى عشه ... وجابر العظم الكسير المهيص

أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقى رحيض

ويقال أن الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر .

وذكر ابن خلكان ، فى ترجمة يزيد بن زياد ، أن بعض الجند حدث أنهم نزلوا على جرود فاصطادوا من حمر الوحش شيئاً كثيرا . وذبحوا منها حمارا ، وطبخوا لحمه الطبخ المعتاد فلم ينضج ، فزيد فى الإيقاد عليه يوما كاملا فلم ينضج .

فقام بعض الجند وأخذ رأسه وجعل يقلبه فرأى على أذنه وسما فقرأه ، فإذا هو بهرام جور ، وموضع الوسم ظاهر أسود ، وهو بالقلم الكوفى .

قال ابن خلكان : واحضروا الأذن عندى فوجدت الاسم ظاهرا .

وبهرام جور كان من ملوك الفرس قبل مبعث النبى ﷺ بزمان طويل

. وكان من عادته إذا أخذ الصيد وسمه وأطلقه . والله تعالى يعلم كم كان عمر الحمار قبل الوسم . وهذا الحمار لعله عاش أكثر من مائتى سنة

وجرود قرية من قرى دمشق . وبأرضها من حمر الوحش شيء كثير يجاور الحصر . وفى أرض جرود الجبل المدخن ، وأنما سمى هذا الجبل بالمدخن لأنه لا يزال عليه مثل الدخان من الضباب .

وقيل أن الحمار يعيش أكثر من ثمانمائة سنة . وألوان حمر الوحش مختلفة . والأخدرية أطولها عمرا وأحسنها شكلا . وهى منسوبة إلى أخدر (فحل كان لكسرى أردشير ، فتوحش واجتمع بعانات فضرب فيها ، فالمتولد منها يقال له أخدرى) .

وقال الجاحظ : أعمار حمر الوحش يزيد علي أعمار الحمر الأهلية ، ولا نعرف حمارا أهليا عاش أكثر من حمار أبى سيارة .

وهو عميلة بن خالد العدوانى . كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة إلي منى أربعين سنة . وكان يقول :

لا هم ما لى فى الحمار الأسود

أصبحت بين العالمين أحسد

هلا يكاد ذو الحمار الجلعد

فق أبا سيارة المحسد

من شر كـل حاسد إذا حـــــسد

ومن أذاة النافـثات فى العـقـــد

اللهم حـبب بين نسـائنا ، وبغض بين رعـائنا ، واجـعل المال فى سمحائنا .

وفيه يقول الشاعر :

خلوا الطريق عن أبى سيارة وعن مواليه بنى فـــــزاره

حتى يجيز سالما حمـــــاره مستقبل القبلة يدعو جـــاره

فقد أجار الله من أجـــــاره

. . . ولذلك قيل أصح من حمار أبى سيارة .

وروى ابن أبى شيبة وابن عبد البـر من طريقه من حديث أبى فاطمة الليـثى ، (ويقال الأزدى ويقـال الدوسى) ، أنه قال : كنا جـالسين عند رسول الله ﷺ ، فقال : « من أحب أن يصح فلا يسقم ؟ » .

فابتدرناها فقلنا : نحن يا رسول الله .

فقال : « أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة ؟ » .

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : « ألا تحبون أن تكون أصحـاب بلاء وأصحاب كفارات ؟ فو الذى نفس أبى القاسم بيـده ، أن الله ليبتلى المؤمن بالبلاء فمـا يبتليه الا

لكرامته عليه . لأن الله قد أنزل عبده منزلة لم يبلغها بشيء من عمله ، دون أن ينزل به من البلاء ما لا يبلغ تلك المنزلة الا به » .

وكذلك رواه البيهقى أيضا فى الشعب ، وقال : سألت عنه بعض أهل الأدب فزعم أنه أراد به حمر الوحش .

وقال ابن الأثير فى «نهاية الغريب» : قوله «أتحبون أن تكونوا كالحمر الضالة» : قال أبو أحمد العسكرى هو بالصاد غير المعجمة ، ورووه أيضا بالضاد المعجمة ، وهو خطأ . يقال للحمار الوحشى الحاد الصوت : صال ، وصلصال . . . كأنه يريد الصحيحة الأجساد ، والشديدة الأصوات ، لقوتها ونشاطها .

•

« الأمثال » : قالوا : فلان أكفر من حمار .

وهو رجل من عاد كان يقال له حمار بن مويلع ، وقيل هو حمار بن مالك بن نصر الأزدى . كان مسلما وكان له واد طوله مسيرة يوم فى عرض أربعة فراسخ ، لم يكن ببلاد العرب أخصب منه ، وفيه من كل الثمار .

فخرج بنوه يوما يتصيدون فأصابتهم صاعقة فهلكوا ، فكفر وقال : لا أعبد من فعل هذا ببنىّ . ودعا قومه إلى الكفر ، فمن عصاه قتله . فأهلكه الله وأخرب واديه . . . فضربت العرب به المثل فى الكفر .

قال الشاعر :

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلى وهو أكفر من حمار

•

حمار قبان :

قال النووى فى «التحرير» : هو فعلان من قب لأنه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة .

وقال الجوهرى : هى دويبة . وقبان فعلان من قب ، لأن العرب لا تصرفه . وهو معرفة عندهم ، ولو كان فعالا لصرفته تقول رأيت قطيعا من حمر قبان غير منصرف .

قال الشاعر :

يا عجبا لقد رأيت عجبا

حمار قبان يسوق أرنبا !

خاطبها يمنعها أن تذهبا

فقالت : أردفنى ، فقال : مرحبا

وقد ذكر ابن مالك وغيره من الصرفيين أن كل اسم يكون فى آخره نون بعد ألف بينها وبين فاء الكلمة مشدد ، فهو محتمل لأصالة النونات وزيادة أحد المثلين ، وبالعكس .

ومثلوا ذلك بحسان ودكان وتبان وريان ونحوها .

فقالوا : حسان أن أخذ من الحسن فنونه أصلية واحدى السينين زائدة ، وأن أخذ من الحس فنونه زائدة مع الألف . ووزنه على الأول فعال وعلى الثانى فعلان . ويمنع الصرف على الثانى لزيادة الألف والنون دون الأول .

وتبان أن أخذ من التبن فنونه أصلية ، وأن أخذ من التب وهو الخسران فنونه زائدة مع الألف ، فيمنع الصرف إذا عرف هذا .

فقبان يجوز أن يكون مأخوذا من القب وهو الضمور . والأقب ضامر البطن كما قال الجوهرى ، والخيل القُبٌّ الضوامر .

وقد أنشد الجاحظ يصف نسوة :

يمشين مشى قطا البطاح تأودا   قب البطون رواجح الأكفال

فحمار قبان يجوز أن يكون مأخوذا من هذا لضمور بطنه . فأنه دويبة مستديرة بقدر الدينار ضامرة البطن ، متولدة من الأماكن الندية ، على ظهرها شبه المجن ، مرتفعة الظهر كأن ظهرها قبة ، إذا مشت لا يرى منها سوى أطراف رجليها .

ورأسها لا يرى عند المشى إلا أن تقلب على ظهرها ، لأن أمام وجهها حاجزا مستديرا .

وهى أقل سوادا من الخنفساء ، وأصغر منها ، ولها ستة أرجل ، تألف المواضع السبخة فى الغالب ومواضع الزبل .

ويجوز أن يكون لفظ قبان مأخوذا من قبن فى الأرض قبونا اذا ذهب .

قال صاحب «المفردات» : وهذه الدابة هى التى تسمى هدبة . وهى كثرية الأرجل تستدير عندما تلمس .

ومن حمار قبان نوع ضامر البطن غير مستدير ، والناس يسمونه أبا شحيمة ، يألف المواضع الندبة . والظاهر أنه صغار حمار قبان ، وأنه بعد يأخذ فى الكبر . وأهل اليمن يطلقونه على دويبة فوق الجرادة من نوع الفراش .

والاشتقاق لايساعده . ويجوز اشتقاقه من قبن المتاع اذا وزنه . فعلى هذا ينصرف لأصالة النون .

والقبان الذى يوزن به . قال الشعبى : معناه العدل بالرومية .

والاشتقاق الأول أظهر ، فلذلك التزمت العرب منعه من الصرف .

«الأمثال» قالوا : أذل من حمار قبان .

الحمام:

قال الجوهرى : هو عند العرب ذوات الأطواق ، نحو الفواخت والقمارى وساق حر والقطا والوراشين ، وأشباه ذلك . يقع على الذكر والأنثى ، لأن الهاء انما دخلته على أنه واحد من جنس لا للتأنيث . وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة .

وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هذا الشوق الا حمامة

دعت ساق حر ترحة فترنّما

والحمامة هنا القمرية .

وقال الأصمعى فى قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت

إلى حمام شراع وارد الثمد

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا

إلى حمامتنا أو نصفه فقد

فحسبوه فألفوه كما زعمت

تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

. . . هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد فى مضيق الجبل فقالت : يا ليت هذا القطا لنا ، ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة !

فاتبعت وعدت على الماء ، فإذا هى ست وستون .

قال أبو عبيدة: رأته من مسيرة ثلاثة أيام . وأرادت بالحمام القطا ، فقالت ذلك .

وقال الأموى : الدواجن التى تستفرخ فى البيوت تسمى حماما أيضا . وأنشد للعجاج

انى ورب البلد المحرم

والقاطنات البيت عند زمزم

قواطنا مكة من ورق الحم

. . . . يرد الحمام .

وجمع الحمامة حمام وحمائم وحمامات .

وربما قالوا حمام للمفرد . قال جران العود :

وذكرنى الصبا بعد التنائى   حمامة أيكة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب «الطير الكبير» أن اليمام هو الحمام البرى . الواحدة يمامة . وهو ضروب .

والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفل ذنب الحمامة مما يلى ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لابياض فيه .

ونقل النووى فى «التحرير» عن الأصمعى أن كل ذات طوق فهى حمام . والمراد بالطوق الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة فى طوقها .

وكان الكسائى يقول: الحمام هو البرى، واليمام الذى يألف البيوت .

والصواب ما قاله الأصمعى .

ونقل الأزهرى عن الشافعى أن الحمام كل ما عب وهدر وإن تفرقت أسماؤه .

والعب ، بالعين المهملة ، شدة جرع الماء من غير تنفس .

قال ابن سيده : يقال فى الطائر عب ، ولا يقال شرب . والهدير : ترجيع الصوت ومواصلته من غير تقطيع له .

قال الرافعى : والأشبه أن ما عب هدر .

قال : فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العب لكفاهم .

ويدل عليه أن الامام الشافعى قال فى «عيون المسائل» : وما عب من الماء عبا فهو حمام ، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام .

وفيما قاله الرافعى نظر . لأنه لا يلزم من العب الهدير .

قال الشاعر :

على حـــويضى نغـــر مكـب

اذا فــتــرت فــتــرة يعـــب

وحـــمـــرات شـــربهن عـــب

وصف النغر بالعب مع أنه لا يهـدر والا كان حمامـا . والنغر نوع من العصفور .

إذا علمت ذلك انتظم لك كلام الشافـعى وأهل اللغة أن الحمام يقع على الذى يألف البيوت ويستفرخ فيها . وعلى اليمام والقمرى وساق حر (وهو ذكـر القمـرى) . والفواخـت ، والدبسى ، والقطا ، والوراشين ، واليعاقيب والشفنين والزاغ والوردانى والطورانى .

والكلام الآن فى الحمام الذى يألف البيوت وهو قسمان :

أحدهما البـرى وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك ، وهو كـثير النفور وسمى بريا لذلك .

والثانى الأهلى ، وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة . منها الرواعب والمراعيش والعـداد والسداد والمضرب والقـلاب والمنسوب ، وهو بالنسـبة إلى ما تقدم كالعتاق من الخيل وتلك كالبراذين .

قـال الجاحظ : الفـقيع من الحـمام كـالصقـلاب من الناس ، وهو الأبيض .

أن النبى ﷺ كان يعجبه النظر إلى الأترج والحمام الأحمر .

وروى الحاكم فى «تاريخ نيـسابور» ، عن عائشـة رضى الله عنها ، قالت : كان النبى ﷺ يعجـبه النظر إلى الخضرة ، وإلى الأترج ، وإلى الحمام الأحمر .

قال ابن قانع والحـافظ وأبو موسى : قال هلال بن العـلاء : الحمام الأحمر التفاح .

قال أبو موسى : وهذا التفسير لم أره لغيره .

وكان فى منزله ﷺ حمام أحمر يقال له وردان .

وفى « عمل اليوم والليلة» لابن السنى ، عن خـالد بن معدان ، عن معاذ بن جـبل ، أن عليا رضي الله عنه شكا إلى النبى ﷺ الوحشـة ، فأمره أن يتخذ زوج حمام ، وأن يذكر الله عند هديره .

ورواه الحـافـظ ابن عـساكـر ، وقال : أنـه غريب جـدا ، وسنده ضعيف .

وروى ابن عـدى فى كـاملـه فى ترجمة مـيمـون بن موسى ، عن على بن أبى طالب رضى الله تعـالى عنه ، أنه شكا إلى رسـول الله ﷺ الوحشـة ، فقـال له : « اتخذ زوجـا من حمام تؤنسك ، وتـصيب من

فـراخهـا ، وتوقظك للصـلاة بتغـريدها » ، أو « اتخـذ ديكا يؤنسك ، ويوقظك للصلاة » .

٥

« الأمثال » : قالوا : آمن من حمام الحرم ، وآلف من حمام مكة .

وقالوا : تقلدها طوق الحمامة .... كناية عن الخصلة القبيحة : أى تقلدها كطوق الحمامة ، لأنه لا يزايلها ولا يفارقها ، كما لا يفارق الطوق الحمامة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » : أى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه .

وقال الزمخشرى : فان قلت : لم ذكـر حسيبا ؟ قلت : لأنه بمنزلة الشاهد والقاضى والأمين ، لأن هذه الأمـور الغالب أن يتولاها الرجال ، فكأنه قيل له كفى بنفسك رجلا حسيبا .

وكان الحسن البصرى إذا قرأها قال : يا ابن آدم ، أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك .

وقيل فى قوله تعالى : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾ : أى يلزمون أعـمالهم كـما يلزم الطوق العنـق . يقال طوق فلان عـمله طوق الحمامة : أى الزم جزاء عمله .

روى الإمام أحمد فى « الزهد » عن مطرف أنه قال : إذا أنا مت فلا يحبسونى ، لكى يجتمع الناس فأطوقهم طوق الحمامة .

ومن هذا المعنى قول عبد الله بن جحش لأبى سفيان :

أبلـغ أبا سـفـيـان عن
أمـر عـواقـبـه ندامـة
دار ابن عـمك بعـتـهـا
تقـضى بهـا عنك الـغـرامـة
وحـليـفـكم بـالله رب
الناس مـجـتـهـد القـسـامـة
اذهب بـهـا اذهب بـهـا
طوقـتـهـا طوق الحـمـامـة

.... أى لزمـه عـارها

قال الإمام عبد الرحمن السهيلى : هذا المثل منتزع من قول رسول الله ﷺ « من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين » .

وقوله طوق الحمامة ، لأن طوقها لا يفارقها ولا تلقيه عن نفسها أبدا ، كما يفعل من لبس طوقا من الآدميين .

وفى هذا البيت من حلاوة الإشارة وملاحة الاستعارة ما لا مزيد عليه .

وفى قوله « طوق الحمامة » رد على من تأول قوله ﷺ « طوقة من سبع أرضين » أنه من الطاقة لا من الطوق فى العنق .

وفى مصنف بن أبى شيبة : « من غصب شبرا من الأرض جاء به اسطاما فى عنقه » . والأسطام كالحلق من الحديد .

وقالوا : أخرق من حمامة . لأنها لا تحكم عشها ، وذلك لأنها ربما جاءت إلى الغصن من الشجرة فتبنى عليه عشها فى الموضع الذى تذهب به الريح ، فينكسر من بيضها أكثر مما يسلم .

قال عبيد بن الأبرص :

عيوا بأمرهم كما
عيت ببيضها الحمامة
جعلت لها عودين من
بشم وآخر من ثمامة

٥

الحمد :

فرخ القطاة وفى المثل حمد قطاة يستمى الأرانب أن يصيدها . . . يضرب للضعيف الذى يروم أن يكيد قويا .

قال الميدانى : ولم أر له ذكرا فى الكتب .

*

الحمر :

الحمر ، بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وبالراء المهملة ، ضرب من الطير كالعصفور .

وقال أبو المهوش الأسدى :

قد كنت أحسبكم أسودا حمية

فإذا لصاف تبيض فيه الحمر

« لصاف » : اسم جبل .

والواحدة حمرة . قال الراجز :

وحمرات شربهن غب

إذا غفلت غفلة تعب

وقد تخفف فيقال حمرة وحمرات .

وابن لسان الحمرة كان من خطباء العرب . وهو أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة . وكان من علماء زمانه . ضرب به المثل فى الفصاحة وطول العمر . واسمه ورقاء بن الأشعر ، ويكنى أبا كلاب .

سأله معاويــة يوما عن أشياء فأجابه عنها، فقال له: بم نلت العلم ؟

قال : بلسان سئول ، وقلب عقول .

ثم قـال : يا أمـــيـر المؤمنين ، أن للعلم آفــة واضــاعــة ، ونكدا واستــجاعة ، فآفـته النسيان . واضــاعته أن تحدث به غـير أهله ، ونكده الكذب فيه ، واستجاعته أن صاحبه منهوم لا يشبع أبدا .

«الأمثال» : قالوا : أعمر من ابن لسـان الحمرة . وقالوا : أنسب من ابن لسان الحمرة وكان أنسب وأعظمهم كبرا .

❁

الحمسة :

الحـمــسـة ، بتـحريك الحـــاء والميــم والــسين المهـملة ، دابــة من دواب البحـــر . وقـــيل هى السلحفـاة ، والجمــــع حمس . . . حكاه ابن سيده .

❁

الحماط :

الحماط ، بكســر الحاء المهملة ، والحمــوط بالضم ، دويبة تكون فى العشب .

❁

الحمك :

الصغـار من كل شيء ، واحدته حـمكة ، وقد غلب علـى القمل . والحمك أيضا فراخ القطا والنعام .

والحمك أيضا أراذل الناس . قال الراجز :

لا تعذلينى برذالات الحمك

❁

الحمل :

الخروف اذا بلغ ستة أشهر ، وقـيل هو ولد الضأن الجذع فما دونه . والجمع حملان وأحمال .

روى ابن مـاجة من حـديث أبى يزيد الأنصـارى ﷺ قال : مـر النبى ﷺ بدار من دور الأنصار ، فوجد ريح قـتار فقال : « من هذا الذى ذبح ؟ » .

فخرج إليه رجل منا فقال : أنا يا رسول الله ، ذبحت قبل أن أصلى لأطعم أهلى .

فأمره ﷺ أن يعيـد . فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما عندى إلا حمل من الضأن .

فقال ﷺ : « اذبحه ، ولن يجزى أحدا بعدك » .

❁

حمنان :

حمنان ، بفتح الحاء المهملة ، صغار القردان واحدته حمنانة وحمة ، وهى من القردان دون الحلم .

❁

الحمولة :

قال الجوهرى : هى بالفتح الأبل التى تحمل ، وكذلك كل ما احتمل عليه الحى من حمار أو غيره ، سواء كانت عليه الأحمال أو لم تكن . وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول بها ، قال الله تعالى : ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ .

❁

الحميق :

قال ابن سيده : أنه طائر يصيد القطا والجنادب ونحوهما . وسمعت بعض أهل العلم يقول أنه الباشق ، ويفسر به قول أبى الوليد الأزرقى فى

تاريخ مكة . وهو : قـال بن جريج : قـالت لعطاء : اذا كنت مـحرمـا أفأقتل العقاب ؟ قال : أقتل .

قلت : ... والصقر والحميمق ، فانهما يأخذان حمام المسلمين ؟

قال : اقتل ، واقتل البعوض والذباب ، واقتل الذئب فانه عدو ... ذكره فى تعظيم الحرم .

٭

حميل حر :

حميل حر ، بالضم وقد يكسر ، طائر معروف .

٭

الحنش :

الحنش ، بفتح الحاء المهملة والنون وبالشين المعجمة ، الحية ، ويقال الأفـعى . والجـمع أحناش . وقـيل الأحناش جـمـيع دواب الأرض ، كالضب والقنفذ واليربوع وغيرها ، ثم خصت به الحية .

قال ذو الرمة :

وكـم حنش ذعف اللعـاب كـأنه

على الشرك العادى نصف عصام

ويه سمى الرجل حنشا .

وقيل الحنش حية بيضاء غليظة مثل الثعبان أو أعظم . وقيل أنه أسود الحيات . والحنش أيضا (بالتحريك) كل ما يصاد من الطير والهوام .

وفى كتاب «العين» : الحنش ما رؤوسها رؤوس الحيات وسام أبرص ونحوها .

وفى الحديث فى قتل الدجال : «وترتفع الشحناء والباغض ، وتنزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يده فى فم الحنش فلا يضره » .

الحمة هى ما تلسع به الهوام .

وفى سنن ابن ماجة وجامع الترمذى عن خزيمة بن جزء أنه قال : يا رسول الله ، جئتك أسألك عن أحناش الأرض ، ما تقول فى الثعلب .

قال : « ومن يأكل الثعلب ؟ » .

قلت : فما تقول فى الذئب ؟

قال : « أو يأكل الذئب أحد فيه خير ؟ » .

وذكر الترمذى الذئب والأرنب ، فكل هذه من أحناش الأرض .

الحنظب :

الذكر من الجراد ، وقال الخليل : الحناظب الخنافس ، الواحدة حنظب وحنظباء .

وقال حمزة الأصفهانى : من المركبات بين الثعلب والهرة الوحشية ، الحنظب .

وأنشد لحسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنت ابنه
فبئس البنى وبئس الأب

وأمك سوداء نوبية
كأن أناملها الحنظب

يبيت أبوك لها سافدا
كما سافد الهرةَ الثعلب

وقال الطماحى يصف كلبا أسود :

أعددت للذئب وليل الحارس
مصدرا أتلع مثل الفارس

يستقبل الريح بأنف خانس
فى مثل جلد الحنظباء اليابس

ه

الحوار :

ولد الناقة . ولا يزال حـوارا حتى يفصل عن أمه ، فـإذا فصل عن أمه فهو فصيل .

وثلاثـة أحـورة ، والكثـيـر حـيران ، وحـوران أيضـا . . . قـاله الجوهرى .

وذكـر ابن هشـام وغيره فى سـرية عبد الله بن أنيـس إلى خالد بن نبيح ، وكـانت فـى المحرم فى السنة الثـالثة مـن الهجـرة ، وكان ينزل عرنة ، أنه قال فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحـوار وحوله

نوائح تفـرى كل جـيب مـقـدد

«الأمثـال» : قال صاحب «يسار الـكواعب» له : يا يسار ، كل لحم الحوار ، واشرب لبن العشـار ، واياك وبنات الأحرار . والقصة فى ذلك مشهورة .

وفى ذلك يقول الشاعر :

وانى لأخشى أن خطـبت اليهم

عليك الذى لاقى يسار الكواعب

وقالوا : أمسخ من لحم الحوار .

قال الشاعر :

وقـد علم الغــثـر والطارقـون

بأنك لـلضــيف جــوع وقــر

مــســيخ مليخ كلـحم الحـوار

فــلا أنـت حلو ولا أنت مــر

المسيخ والمليخ : الذى لا طعم له .

وقالوا : كسؤر العبد من لحم الحوار .. يضرب للشىء الذى لايدرك منه شىء . وأصله أن عبدا نحر حوارا وأكله كله ولم يبق لمولاه منه شيئاً فضرب به المثل لما يفقد ألبتة .

٥

الحوت :

السمك ، والجمع أحـوات وحوتة وحيتـان . قال الله تعالى : ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم . . . ﴾ .

٥

«الأمثال» : قال الشاعر :

كالحـوت لا يلهيـه شىء يلهـمه

يصـبح ظمآن وفى الـبحـر فمـه

اللّهم الابتلاع .... يضرب لمن عاش بخيلا شرها .

وأما قوله تعالى : ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ ، فالمراد باليقطين هنا القرع على قول جميع المفسرين . فكل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ، ولا يبقى على الشتاء - نحو القرع والقثاء والبطيخ - فهو يقطين .

حوت الحيض :

قال ابن زهر : قال لى من رآه أنه دابة عظيمة فى البحر ، تمنع المراكب الكبار عن السير .

فإذا أشرف أهل السفينة على العطب رموا له بخرق الحيض ، فيهرب ولا يقربهم . فهى معدة معهم لذلك .

وهذا الحوت اسمه الفاطوس .



الحوشى :

النعم المتوحشة ، ويقال أن الأبل الحوشية منسوبة إلى الحوش ،

وهى فحول جن تزعم العرب أنها ضربت فى نعم بعضها ، فنسبت إليها .

⁕

الحوصل :

طائر كبير له حوصلة عظيمة يتخذ منها الفرو ، وجمعه حواصل .

قال ابن البيطار : وهذا الطائر يكون بمصر كثيرا ، ويعرف بالبجع وجمل الماء والكى (بضم الكاف وسكون الياء المثناة من تحت) ، وهو صنفان أبيض وأسود : فالأسود منه كريه الرائحة ولا يكاد يستعمل ، والأجود الأبيض .

وحرارته قليلة ، ورطوبته كثيرة ، وهو قليل البقاء . ولبسه يصلح للشباب ، وذوى الأمزجة الحارة ومن تغلب عليه الصفراء .

والمعروف خلاف ما قال ، وأنه أشد حرارة من فرو الثعلب .

والحوصلة والحوصل ، من الطائر والظليم ، بمنزلة المعدة للانسان .

⁕

الحلان :

الحلان ، بحاء مضمومة بعدها لام ألف مشددة ثم نون ، هو الجدى

يوجد فى بطن أمه .

قال الأصمعى : الحلان والحلام ، بالنون وبالميم ، صغار الغنم .

وقال ابن السكيت : الحلان الذى يصلح أن يذبح للنسك .

وفى الحديث: أن عمر رضى الله تعالى عنه قضى فى أم حبين يقتلها المحرم بحلان .

وفى حديث آخر : ذبح عثمان كما يذبح الحلان . أى أن دمه أطل كما أطل دم الحلان .

❁

حيدرة:

اسم من أسماء الأسد .

❁

الحيرمة :

البقرة ، والجمع حيرم . قال ابن حمر :

تبدل أدما من ظماء وحيرما

... كذا أنشده الجوهرى .

❁

الحية :

اسم يطلق على الذكر والأنثى . فـإن أردت التميـيز قلت هذا حـية ذكر ، وهذه حية أنثى . . . قاله المبرد فى « الكامل » .

وانما دخلته الهاء لأنه واحد من جنس ، كبطة ودجاجة .

على أنه قـد روى عن بعض العرب : رأيت حـيا على حـية ، أى ذكرا على أنثى . وفلان حية ذكر .

والنسبة إلى الحية حيوى . والحيوت ذكر الحيات، أنشد الأصمعى :

ويأكل الحـــيـــة والحـــيـــوتا

ويخـنق العـــجـــوز أو تمـوتا

وذكر ابن خالويه لها مائتى اسم .

●

« الأمثال » : قالوا : فلان أسمع من حية ، وأعدى من حية .

وهو من العَدو ، لأنها تسرع إلى جحرها إذا راعها شىء .

روى البـخـارى ومـسـلم ، عن أبـى هريرة رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « ان الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » .

وفى صحيح مسلم ، عن ابن عـمر رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ

قال : «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ . وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها » ، أى مسجدى مكة والمدينة .

ومعنى يأرز ينضم ويجتمع بعضه إلى بعض . ومعناه : أن المؤمن أنما يسوقه إلى المدينة ايمانه ومحبته للنبى ﷺ .

ويحتمل أن يكون المراد بذلك عصمة المدينة من الرجال والفتن ، فيكون الإسلام فيها موقرا ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك رجوع الناس إلى سنة رسول الله ﷺ ومنها ظهرت .

ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن الدين يؤخذ من علمائها وأئمتها ، وكذلك كان .

وسيأتى أن شاء الله تعالى فى باب الميم فى لفظ المطية حديث الترمذى أن النبى ﷺ قال :

« يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة » .

وقالوا : أبغض من ريح السذاب إلى الحيات .

وقالوا : الحية من الحيية : أى الأمر الكبير من الصغير .

وربما قالوا : الحيوت من الحية .

وهذا كقولهم : العصا من العصية .

وقد جاء معنى المثلين فى كتاب الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا ﴾ . . . كذا ذكره ابن الجوزى وغيره .

❁

الحيوت :

الحيوُت ، كسفُّود ، ذكر الحيات .

❁

الحيدوان :

الورشان .

❁

الحيقطان :

الحيقُطان ، بضم القاف ، ذكر الدراجة .

❁

الحيوان :

جنس الحى ، والحيوان الحياة ، والحيوان ماء فى الجنة . . . قاله ابن سيده .

والحيـوان نهـر فـي السماء الرابـعة ، يدخله ملك كل يوم فينغمس فيه ، ثم يخرج فـينتفض انتفاضة يخرج منه سبعون ألف قطرة ، يخلق الله تعـالى من كل قطرة ملَكا ، يؤمـرون أن يطوفوا بالبـيت المعمـور ، فيطوفون به ثم لا يعودون إليه أبدا .

ثم يقفـون بين السماء والأرض يسبـحون الله تعالى إلى يوم القيـامة ... كذا رواه روح بن جناح مـولى الوليد بن عـبد الملك الذى روى عن مجـاهد ، عن ابن عباس رضى الله عـنهما أن النبى ﷺ قـال : « عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

●

وحديثه هذا فى كتابى الترمذى وابن ماجة .

وقال الزمخـشرى فى تفسير قـوله تعالى : ﴿ وان الدار الآخرة لهى الحيوان﴾ : أى ليس فـيها إلا حياة دائمة مـستمرة خالدة لا موت فـيها ، فكأنها فى ذاتها حياة .

والحيوان مصدر حـيى . وقياسه حييان ، فقلبـوا الياء الثانية واوا . كما قالوا حيوة فى اسم رجل ، وبه سمى ما فيه حياة حيوانا .

وفى بناء الحيـوان زيادة معنى ليس فى بناء الحيـاة ، وهو ما فى بناء فَعَلان من الحركات ومعنى الاضطراب ، كـالنزوان وما أشبه ذلك والحياة حركة كما أن الموت سكون فمجيئه على ذلك مبالغة فى معنى الحياة .

وقال ابن عطية : الحيوان والحياة بمعنى واحد .

وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كـالهيمان ونحوه ، والمعنى لا موت فيها . . . قاله مجاهد ، وهو حسن .

ويقال : الأصل حـييان ببـاءين ، فأبدلت احـداهما واوا لاجتـماع المثلين .

وقال الجـاحظ : الحيـوان على أربعة أقسـام : شيء يمشى ، وشيء يطير ، وشيء يعوم ، وشيء ينسـاخ فى الأرض . إلا أن كل شيء يطير يمشى ، وليس كل شيء يمشى يطير .

فأمـا النوع الذى يمشى فـهو على ثلاثة أقـسام : ناس ، وبهـائم ، وسباع .

والطير كله سبع وبهـيمة وهمج . والخشاش ما لطف جـرمه وصغر جسمه ، وكان عديم السـلاح . والهمج ليس من الطيور ، ولكنه يطير . وهو ، فيما يطير ، كالحشرات فيما يمشى .

والسبع من الطيـر ما أكل اللحم خالصـا . والبهيمـة ما أكل الحب خالصا .

والمشترك كالعصفور ، فإنه ليس بذى مخلب ولا منسر ، وهو يلتقط الحب . ومع ذلك يصيـد النمل ، ويصيـد الجراد ، ويأكل اللحم ، ولا

يزق فراخه كما يزق الحمام ... فهو مشترك الطبيعة . وأشباه العصافير من المشترك كثيرة .

وليس كل ما طار بجناحين من الطير . فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل وغير ذلك ، ولا تسمى طيورا .

وأما عواء الذئب ، فجور من لص غشوم وأما صياح الثعلب ، فكيد من رجل كذاب أو امرأة كذابة .

وأما وعوعة بن آوى ، فصراخ نساء ، أو ضجة المحبوسين اليائسين.

وأما صياح الخنزير ، فظفر بأعداء حمقى .

وأما صوت الفهد ، فتهدد من رجل مذبذب طامع ، ويظفر به من سمعه .

وأما نقيق الضفدع . ، فدخول فى عمل رجل عالم أو رئيس أو سلطان . وقيل أنه كلام قبيح .

وأما فحيح الحية ، فكلام من عدو كاتم للعداوة ، ثم يظفر به من سمعه ومن كلمته الحية بكلام لطيف فانه عدو يخضع له ، ويتعجب الناس لذلك .

أم حُبَيْن :

أم حُبَيْن ، بحاء مهملة مضمومة وياء موحدة مفتوحة مخففة ، دويبة مثل ابن غرس وابن آوى وسام أبرص وابن قترة ، إلا أنه تعريف جنس وربما أدخل عليه الألف واللام ، ثم لا يكون بحذفهما منه نكرة .

وأنما سميت بذلك من الحبن ، تقول : فلان به حبن فهو أحبن : أى مستسقى ، فشبهت بذلك لكبر بطنها .

وهى على خلقة الحرباء ، غير الصدر .

وقيل هى أنثى الحرابى ، وهما أما حبين ، وهن أمهات حبين .

وهى دابة على قدر الكف تشبه الضب غالبا . . . قاله أبو منصور الأزهرى .

وما نقله من كونها أنثى الحرابى ، هو الذى نقله صاحب «الكفاية» ، فانه قال : الحرباء ذكر أم حبين .

وقال ابن السكيت : هى أعرض من العظاءة وفى رأسها عرض .

وقال أبو زيد : أنها غبراء لها أربع قوائم على قدر الضفدعة التى ليست بضخمة . فإذا طردها الصيادون قالوا لها :

أم حبين انشرى برديك

أن الأمير ناظر اليك

وضارب بسوطه جنبيك

فيطردونهـا حتى يدركهـا الأعياء ، فـتقف متـصبة على رجليـها ، وتنشر جناحيها وهما أغبران علي مثل لونها .

فإذا زادوا فى طردها ، نشرت أجنحة من تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن منهن ما بين أصفر وأحمـر وأخضر وأبيض ، وهى طرائق بعضها فوق بعض مثل أجنحـة الفراش فى الرقة . فإذا رآها الصيـادون قد فعلت ذلك تركوها .

وقال على بن حمزة : الصحيح عندى أن هذه صفة أم عويف .

وقال ابن قتيبة : أم حبين تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت ، وهذه صفة الحـرباء . وقال فى « المرصع» : اختلف فى أم حـبين ، فقيل هى ضرب من العظاء ، وقيل هى أعرض مـنها ، وقيل هى أنثى الحرابى ... يتحاماها الأعراب فلا يأكلونها لنتنها .

وما ذكره ابن قتيبة من كون أم حبين ضربا من العظاء فيه نظر . فان العظاء نوع من الوزغ كما ذكره أهل اللغة .

ويقـال لها حـبيـنة معـرفـة بلا الـف ولام ... تقع عـلى الواحـد والجمع . وقد تجمع على أم حبينات وأمهات حبين وأمات حبين .

ولـم ترد الا مـصغـرة . وفي حـديث عقـبـة رحمـه الله : «أتموا صلاتكم ، ولا تصلوا صلاة أم حبين» .

وفسروه بأنها إذا مشت تطأطىء رأسها كـثيرا وترفعه لعظم بطنها ، فهى تقع على رأسها وتقوم . فشبه بها صلاتهم فى السجود..

وفى الحديث أنه ﷺ رأى بلالا وقد خرج بطنه ، فقال : «أم حبين» . . . تشبيها له بها . وهذا من مزحه ﷺ .

قال الجاحظ : قال أبو زيد النحوى : سمعت أعرابيا يقول لأم حبين حبينة . وحبينة اسمها ، وحبين تصغير آحبن وهو الذى استلقى على ظهره ونفخ بطنه .

●

«وحكمها» : الحل ، لأنها من الطيبات : ولأنها تفدى فى الحرم والأحرام إذا قتلت بحلان كما تقدم .

ومن قواعد الشافعى : لا يفدى الا المأكول البرى .

وحكى الماوردى فيها وجهين . وقال : ان الحل مقتضى قول الشافعى ، ومقتضى ما قاله ابن الأثير فى «المرصع» أنها حرام .

وفى «التمهيد» لابن عبد البر ، عن جماعة من أهل الأخبار ، أن مدنيا سأل أعرابيا فقال : أتأكلون الضب ؟

قال : نعم .

قال : فاليربوع ؟

قال : نعم .

قال : فالقنفذ .

قال : نعم .

قال : فالورل ؟

قال : نعم .

قال : أفتأكلون أم حبين ؟

قال : لا .

قال : أضره أم حبين العافية .

والجراء أن هذا راجع لما اعتادوا أكلـه . وترك أكله خاصة ، لا أنها حرام . على أنه لم يثبت ذلك .

❁

أم حسان :

دويبة علي قدر كف الإنسان .

❁

أم حسيس :

أم حسـيس ، بضم الحاء المهـملة ، دويبة سـوداء من دواب الماء لها أرجل كثيرة .

❁

أم حفصة :

الدجاجة الأهلية .

❁

أم حمارس :

أم حمارس ، بفتح الحاء المهملة ، الغزالة . . . قال ابن الأثير .

والله الموفق للصواب .

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع: ٩٦٤٦ / ٩٩
الترقيم الدولى: 9 ـــ 6246 ـــ 01 ـــ 977 I. S. B. N



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولاموعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل - للشاب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك

مكتبة الأسرة



مهرجان القراءة للجميع



١٢٥ قرشا